سلسلة الرسائل العلمية

(7)

المدخل الصغير

إلى علوم القرآن والحديث والعقيدة والتفسير

تأليف

الشيخ مُحَمَّد بن رزق بن طرهوني

الحمدلله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار

إلى طلبة العلم أقدم هذا الكتيب المختصر في المدخل لعلوم القرآن والتفسير والسنة والعقيدة , وقد دعت الحاجة لإخراجه عندما عهد إلي بتدريس مادة المدخل للدراسات الإسلامية بكلية التربية بالمدينة المنورة التابعة لجامعة الملك عبدالعزيز، وشاء الله ألا أكمل تدريس بقية المادة فنقص الكتيب ما يتعلق بالفقه وأصوله ، ولكنني عازم بإذن الله على إلحاق ما يتعلق بهما بهذا الكتيب ، قبل بداية العام الدراسي الجديد ثم طباعته كاملا باسم المدخل الصغير الذي سوف أعتبره نواة لكتاب آخر أكثر تفصيلا كنت أتمنى إخراجه منذ فترة لشعوري بحاجة المبتدئين والمثقفين إليه، وكثيرا ما داعبت فكرته مخيلتي إلا أنه يشغلني عنه ما هو أهم وهو تحقيق السيرة النبوية

والكتاب المنوه به لن يتأخر إن شاء الله وسوف يكون مدخلا أكبر للدراسات الإسلامية يحتوي على ما تضمنه هذا الكتيب ومازاد عليه مع إضافات جديدة في نفس الموضوعات ومع إلحاق موضوعات أخرى وهي المدخل إلى علم القراءات والمدخل إلى علم السيرة والمدخل إلى

علم التاريخ الإسلامي والمدخل إلى علم السلوك والأخلاق والزهد والرقائق والمدخل إلى علم البحث والمكتبات وربما أضفت إليه المدخل إلى علم اللغة . وسوف أطلق عليه بإذن الله تعالى اسم (المدخل الكبير للعلوم الإسلامية)

وأخيرا أرحب بكل نقد بناء وموضوعي وعلمي ، والحمدلله رب العالمين.

أولا : المدخل إلى علوم القرآن والتفسير

التعريف :

القرآن مصدر من قرأ يقرأ كما قال تعالى: إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه

وكما قال ﷺ: "خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرج فيقرأ القرآن من قبل أن تسرج دوابه".

وقد أصبح علما على كلام الله المنزل على رسول الله محمد ﷺ المتعبد بتلاوته .

وقد اختلف القراء في لفظة القرآن فقرأه ابن كثير قاريء أهل مكة بدون همز وتوجيه ذلك على أنها علم وليست مصدرا من القراءة ، وقرأه الباقون بالهمز ووجهوا عدم الهمز على أنه تخفيف بنقل الحركة للساكن قبلها وهو مشهور عند العرب كما في قراءة ورش وغيره.

والقرآن مقسم إلى سور وكل سورة مقسمة لآيات وآخر كل آية يسمى فاصلة ، والذي يعرفه العرب في مقابل ذلك الديوان بالنسبة للشعر فهو مقسم إلى قصائد والقصيدة مقسمة إلى أبيات والبيت ينتهي بقافية .

فضائله :

لاشك أن فضل الشيء فرع عما يتعلق به والقرآن من حيث كونه كلام الله فلابد أن يكون له الأفضلية المطلقة كما روي في الحديث : "فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه" .

والحديث عن فضائل القرآن من جهتين :

الجهة الأولى :

فضل القرآن نفسه : وينقسم إلى فضائل القرآن عامة مثل قوله ﷺ : "من قرأ حرفا من كتاب الله كان له عشر حسنات"

وقوله ﷺ لأصحابه: "أيكم يحب أن يغدو إلى بطحان فيأتي بناقتين كوماوتين حسنتين ؟".

قالوا : كلنا يارسول الله . قال : "فلأن يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم آيتين خير له من ناقتين وثلاثا خير من ثلاث" .

وإلى فضائل سور وآيات معينة فيه مثل قوله ﷺ:

"من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه" وقوله ﷺ: "آية الكرسي هي أعظم آية في كتاب الله" . وقوله ﷺ: "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب وقوله ﷺ: "اقرأوا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولاتستطيعها البطلة" . وغير ذلك كثير

الجهة الثانية : فضل حملة القرآن : ومن ذلك قوله ﷺ: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"

وقوله ﷺ: "إن لله أهلين من الناس أهل القرآن هم أهل الله وخاصته"

وقوله ﷺ: "الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة"

وقوله ﷺ: يقال لحامل القرآن يوم القيامة اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها.

ومن الكتب التي صنفت في فضائل القرآن على وجه العموم فضائل القرآن لأبي عبيد، فضائل القرآن لابن الضريس، فضائل القرآن للنسائي ، فضائل القرآن للحافظ ابن كثير ومن الكتب التي صنفت في فضائل السور والآيات فضائل سورة الإخلاص للخلال ، موسوعة فضائل سور وآيات القرآن للطرهوني

أسماء القرآن :

للقرآن أسماء كثيرة أوصلها بعضهم إلى خمسة وخمسين اسما مستقاة من القرآن والسنة وهي متضمنة الأسماء والأوصاف معا منها :

كتاب – مبين – نور – فرقان–كلام–حكيم – علي – حبل – صراط – نبأ – وحي – عربي – بصائر.

أسماء سور القرآن :

اختلف أهل العلم في أسماء السور هل هي اجتهادية أم توقيفية ، وعلى كل حال فإن كثيرا من أسماء السور قد ثبت بالتوقيف عن طريق تتبع الأحاديث مثل قوله ﷺ: "اقرءوا البقرة" ، وقوله ﷺ: "فاتحة الكتاب" وقوله ﷺ: "من قرأ سورة الكهف" . ونحو ذلك

ويمكن أيضا معرفة أسماء السور عن طريق الصحابة رضي الله عنهم مثل قول عائشة كان رسول الله ﷺ: "لا ينام حتى يقرأ سورة بني إسرائيل والزمر" . وقول ابن عباس : عندما ذكرت له سورة الأنفال : تلك سورة بدر . وعندما ذكرت له سورة التوبة قل: بل هي الفاضحة. ونحو ذلك

والأسماء التي في المصحف المطبوع حاليا اختيار لبعض العلماء مما ذكر في أسماء السور ، وقد يكون للسورة الواحدة عدة أسماء مثل سورة البقرة تسمى البكر وسورة المائدة تسمى العقود وسورة الإسراء تسمى بني إسرائيل وسورة فاطر تسمى الملائكة وهلم جرا.

وبعض السور يسمى بالحروف المقطعة في أولها مثل ص ، ق ، طه ، ومثل حم الدخان وحم المؤمن .

وعند التأمل يظهر وجود ارتباط بين اسم السورة والجو العام لها في معظم التسميات .

علوم القرآن

تعريف علوم القرآن

هي العلوم التي تتناول الأبحاث المتعلقة بالقرآن بأنوعها المختلفة .

أنواع علوم القرآن :

وهي كثيرة جدا يصعب حصرها ، وهي تدور في الغالب حول خمسة مباحث :

الأول : مواطن النزل وأوقاته : ومنه المكي والمدني ، والحضري والسفري ، والليلي والنهاري ، وأول ما نزل وآخر ما نزل ، ونحو ذلك .

الثاني : سند القرآن : ومنه القراءات المتواترة ، والآحاد ، والشاذة ، والموضوعة ، ومعرفة الحفاظ ، ونحو ذلك .

الثالث : أداء القرآن : ومنه الوقف ، والابتداء ، الإدغام ، الإمالة ، ونحو ذلك .

الرابع: ألفاظ القرآن : ومنه غريب القرآن ، المعرب ، المجاز ، ونحو ذلك .

الخامس: المعاني المتعلقة بالأحكام : ومنه المطلق والمقيد ، والعام والخاص ، الناسخ والمنسوخ ، والمجمل والمبين ، ونحو ذلك .

المصنفات في علوم القرآن :

قيل أول من تكلم في علوم القرآن الشافعي ، وأول من ألف فيه علي بن إبراهيم الحوفي المتوفى سنة 330 هـ كتاب البرهان في علوم القرآن

كما ألف فيه الكفيجي : التيسير في علوم التفسير ، وجلال الدين البلقيني مواقع العلوم من مواقع النجوم ، والزركشي البرهان في علوم القرآن ، والسيوطي الإتقان في علوم القرآن ، والسخاوي جمال القراء.

ومن المؤلفات الحديثة : مناهل العرفان للزرقاني ، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان .

وهناك مصنفات في بعض علوم القرآن مثل : الناسخ والمنسوخ لقتادة ، نواسخ القرآن لابن الجوزي ، الناسخ والمنسوخ للنحاس ، أصول التفسير لشيخ الإسلام لابن تيمية ، المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ، وغير ذلك كثير.

جمع القرآن

إن حفظ هذا الدين من خصوصياته التي انفرد بها عما سبقه من الأديان ، لأن الله تعالى كان قد أوكل حفظها إلى الأحبار ، بدليل قوله في الذكر – ويشمل القرآن والسنة – (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وقوله في التوراة : (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء) ولكنهم لم يقوموا بما استحفظوا ، فحرفوا وبدلوا ، فأرسل الله عز وجل لهم رسوله ، ففضحهم وبين مساوئهم .

ومن مظاهر حفظ القرآن الكريم طريقة جمعه وتلقيه وتدوينه وانتقاله إلينا منذ عهد النبي ﷺ وحتى الآن .

جمع القرآن في عهده ﷺ :

لم يحظ كتاب منذ خلق الله السماوات والأرض بما حظي به هذا القرآن من الاهتمام والحفظ والعناية . وتبدأ مظاهر حفظه منذ وقت نزوله فقد كان النبي ﷺ إذا تلقاه من جبريل حرك لسانه يعجل به مخافة ألا يحفظه، وكان يلقى من ذلك شدة .

عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة ، وكان مما يحرك شفيته . قال ابن عباس : فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله ﷺ يحركهما . فأنزل الله تعالى: (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه) قال : جمعه لك في صدرك وتقرأه. (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) قال : فاستمع له وأنصت . (ثم إن علينا بيانه) : ثم إن علينا أن تقرأه . فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع ، فإذا انطلق جبريل ، قرأه النبي ﷺ كما قرأه .

ثم كانت طريقة التلقي المثلى بين الصحابة هي المشافهة والحفظ عن النبي ﷺ مباشرة .

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أخذت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة ولا ينازعني فيها أحد .

ومع أن الكتابة في حواضر الحجاز زمن البعثة لم تكن واسعة الانتشار ، ومع أن وسائلها كانت بدائية وغير ميسورة فإن النبي ﷺ كان حريصا على تسجيل ما ينزل عليه من القرآن، حتى إنه نهى في البداية عن كتابة شيء غير القرآن خشية اختلاطه بكتاب الله .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه. وحدثوا عني ولا حرج ، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"

وكان من كتبته ﷺ زيد بن ثابت رضي الله عنه

فعن البراء رضي الله عنه قال: لما نزلت (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله) قال النبي ﷺ: ادع لي زيدا وليجيء باللوم والدواة والكتف . ثم قال : اكتب (لا يستوي القاعدون) وخلف ظهر النبي ﷺ عمرو بن أم مكتوم الأعمى فقال: يارسول الله فما تأمرني ؟ فإني رجل ضرير البصر فنزلت مكانها : لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله)

وأوصل البعض إلى كتاب النبي ﷺ إلى ثلاثة وأربعين كاتبا .

وقد نص العلماء على أن القرآن كله قد كتب على عهد رسول الله ﷺ في الصحف والألواح والعسب ، لكنه لم يكن مجموعا في موضع واحد ، ولا مرتب السور . ويدل على ذلك حديث زيد الآتي بعد قليل .

جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

ولما كان عهد أبي بكر رضي الله عنه – خليفة رسول الله ﷺ– جمع القرآن بحضرة كبار الصحابة ، وفي وجود حفاظه المتوافرين ، وجعل صاحب المهمة هو كاتب النبي ﷺ المشار إليه آنفا زيد بن ثابت .

فعن زيد قال : أرسل لي أبو بكر الصديق مقتل أهل اليمامة ، فإذا عمر بن الخطاب عنده قال أبو بكر رضي الله عنه : إن عمر أتاني فقال : إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراءة القرآن ، وإني أخشى إن استحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن .قلت لعمر : كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر : هذا والله خير . فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد : قال أبو بكر : إنك رجل شاب ، عاقل ، لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ ، فتتبع القرآن فاجمعه . فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن . قلت : كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال: هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما . فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم) حتى خاتمة براءة . فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهما .

وقد كان آخر براءة محفوظا لدى جمع من الصحابة منهم أبي بن كعب وغيره ممن جمع القرآن ، ومنهم زيد نفسه الذي علم بنقصها ، ولكن كان المطلوب وجودها مكتوبة . وثم آية أخرى

من سورة الأحزاب حصل فيها نفس الأمر ووجدها زيد عند خزيمة كذلك ، فتم جمع المصحف مع توافر الشرطين : الحفظ في الصدور ، والكتابة في السطور ، والحمد لله رب العالمين.

قال الحافظ ابن حجر – شارحا للآثار الواردة في اشتراطهم في الجمع وجود شاهدين على ما سجلون : كأن المراد بالشاهدين الحفظ والكتاب ، أو أن ذلك هو المكتوب بين يدي رسول الله ﷺ ، أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك من الوجوه التي نزل بها القرآن .

وكان غرضهم ألا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي النبي ﷺ لا من مجرد الحفظ.

جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه:

ثم استنسخ عثمان المصاحف وشكل لذلك أيضا لجنة على رأسها زيد بن ثابت ، وبعث بالمصاحف اللتي استنسخها إلى الأمصار ، ليحسم بها أي اختلاف يقع بسبب مصحف كتبه بعضهم لنفسه فأدرج فيه بعض التفسير أو ألفاظا منسوخة أو خطأ وقع منه أثناء الكتابة بسبب عدم الدقة ، ويدفع بها أيضا الأخطاء الناشئة عن الوهم في حفظ بعض الحفاظ ، ونحو ذلك :

فعن أنس رضي الله عنه أن حذيفة بن اليمان قدم إلى عثمان ، وكان يغازي أهل الشام في أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم في القرآن ، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين ، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالمصحف ننسخها في المصاحف ثم نرجعها إليك .

فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام ، فنسخوها في المصاحف ، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم . ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة ، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بكل ما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق.

حفظ القرآن عبر الأجيال :

فهذا شأن كتابة القرآن من عهده ﷺ إلى أن اشتهرت في الأمصار . والكتابة الموجودة الآن في المصاحف ، والمسماة بالرسم العثماني هي عينها التي أجمع عليها أصحاب النبي ﷺ في عهد عثمان ، وقد حفظت لنا حفظا عجيبا حتى إن الهمزة الساقطة فيها ساقطة عندنا ، والواو الزائدة زائدة عندنا ، والألف المحذوفة محذوفة عندنا ، والحرفين المتصلين متصلان عندنا ، والحرفين المنفصلين منفصلان عندنا ، وهلم جرا . وقد ألحقت الحروف الساقطة بخط صغير ، ونبه على الحروف الزائدة بعلامات معينة ، وذلك في الطبعات الحديثة لتيسير القراءة على الناس ، وكانت قبل ذلك تلحق بالمداد الأحمر . فأما الأول فيسمى علم رسم المصحف وقد صنفت فيه الكتب وروى أصحابها بأسانيدهم عمن رأوا مصاحف عثمان كيفية كتابتها . وأما الثاني فيسمى علم ضبط المصحف ، وفيه كيفية النقط والشكل وغير ذلك حيث إن الكتابة الأولى لم تكن منقوطة ولا مشكلة . واعلم أن هذا الباب باب واسع اكتفينا فيه بهذه الإشارات السريعة، ومن أراد الفهم الكامل فعليه بالمطولات المخصصة لذلك .

وما زالت الأمة الإسلامية إلى الآن بعد انصرام أربعة عشر قرنا متمسكة بما كان عليه سلفها من المنع من كتابة المصحف بغير الرسم العثماني ، وهذا في حد ذاته طعنة في نحور أعداء هذا الدين ، حيث إنه لا درجة أعلى من ذلك في الحفظ ، وإذا حفظت طريقة الكتابة فما بالك بالمكتوب ؟

سبحان الله ! أي حفظ هذا ؟ إنه لم يقف إلى هذا الحد – على الرغم من أننا لم نتكلم إلا على حفظه مكتوبا – بل جاوزه إلى درجة أعلى من ذلك بكثير بطريقة حفظه في الصدور ، فإنه لم يقف عند تلقي القرن عن القرن ، والجيل عن الجيل ، وهو النقل المتواتر الذي لا تتطرق إليه شائبة ، ومن باب تقريب الأمر نقول : إن ابن الجوزي رحمه الله تعالى سجل ما وقف عليه من مشاهير وأئمة القراء الذي تصدوا للإقراء وذكرهم التاريخ بأسمائهم وأسماء مشايخهم وتلاميذهم خلال ثمانية قرون من بدء البعثة فبلغوا أربعة آلاف نفسا .

وهذا يعين أن متوسط عدد أئمة كل قرن حسب ما وصل إليه علم ابن الجزري خمسمائة إمام ، فكيف بمن لم يعلمهم ؟ وهذا رقم خيالي فإن هؤلاء هم الأئمة المتصدرون ، والقرآن يحفظه غير العلماء الذين هم في الأمة كالشامة في البعير : الصغير والكبير ، والشاب والشيخ ، والرجل والمرأة ، والعامي والأمي ، والمثقف وغير المثقف فإذا أردنا إحصاء حفاظ القرآن عامة في كل قرن لهالنا العدد ، و لو حصرنا الحافظين لبعض أجزاء من القرآن لما بالغنا إذا قلنا كل المسلمين !

أقول لم يصل الحد إلى هذا النقل الفريد والذي لا يوجد في كتاب آخر في عالم الناس ، بل تجاوزه من حفظ الألفاظ إلى حفظ طريقة تلاوة هذه الألفاظ ، فهذا الحرف فيه مد ، وفي ذاك

غنة وفي ثالث إشمام وفي رابع إمالة وهلم جرا ، وندخل في علم عجيب وهو علم القراءات والتجويد الذي نقل إلينا بالتلقي من الأفواه من عهد النبي ﷺ إلى عهدنا هذا .

ولما قل في الأزمنة المتأخرة عدد أئمة الإقراء بالنسبة لعدد الناس الهائل ، بحيث يصعب أن يجد كل مسلم من يتلقى القراءة على يديه ، وضع له القواعد وصنفت فيه الكتب . وقد جزم العلماء بوجوب قراءة القرآن بنفس طريقفة الأداء التي وصلنا بها ، قال ابن الجزري :

والأخذ بالتجويد حتم لازم من لم يجود القرآن آثم

لأنــه بــه الإلـــه أنــزل وهكذا منه إلينا وصلا

فأي حفظ بعد هذا الحفظ ، ناهيك عن باقي العلوم التي خدمت هذا الحفظ من حصر لعدد آيات القرآن ودراسة الأماكن نزوله وأوقاته وأسبابه كما قدمنا في حديثنا عن علوم القرآن

ومازال القرآن إلى الآن ، يتلقاه القراء بالأسانيد المتصلة إلى النبي ﷺ بقراءاته المتواترة .

كل تلميذ يعرضه على شيخه كاملا وهكذا حتى يبلغ منتهاه .

نزول القرآن

بدء الوحي : كان أول ما بديء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة كما ثبت في حديث عائشة وقد ذكر عروة بن الزبير رحمه الله أن أول ما بديء به رسول الله ﷺ من الوحي رؤيته جبريل في المنام وقد أتاه بنمط مكتوب فيه صدر سورة العلق . وكان ذلك يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول كما بينت في صحيح السيرة النبوية.

ثم أنزل الله القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا إلى بيت العزة كما ذكر ابن عباس وذلك ليلة القدر الخامس والعشرين من شهر رمضان.

وفي نفس الليلة نزل جبريل عليه السلام يقظة إلى النبيﷺ وهو معتزل في غار حراء يتحنث ويتأمل في ملكوت الله ، وذلك بصدر سورة العلق بما يوافق المنام الذي رآه وقصة ذلك مشهورة ثابتة في الصحيحين.

فكان نزول جبرين بصدر سورة العلق إلى قوله (علم الإنسان ما لم يعلم) هو بدء نزول القرآن منجما يعني مفرقا حسب الوقائع والأحوال ، واستمر نزول القرآن هكذا مفرقا طيلة ثلاث وعشرين سنة إلى أن توفى الله نبيه محمدا ﷺ .

الفرق بين أنزل ونزل :

ويلاحظ أن معظم ما ورد في القرآن بخصوص نزوله يأتي بتعبير التنزيل بخلاف غيره فيعبر عنه بالإنزال وذلك تنويها بنزوله منجما وليس جملة واحدة كالتوراة والإنجيل ، لأن لفظة التنزيل تقتضي في الغالب تعدد مرات النزول .

قال تعالى : (نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل)

وقال تعالى : يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذبي أنزل من قبل)

فوائد تنزيل القرآن منجما :

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى حكما لنزول القرآن منجما فقال : (وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ، ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا) وقال (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا)

ونستخلص من تلك الحكم :

1- تثبت فؤاد النبي ﷺوإزهار العناية الإلهية به طوال مدة الرسالة.
2- تيسير حفظ القرآن وفهمه على الناس
3- إفحام المشركين وتحديهم فكلما أتوا للنبي ﷺبحجة من حججهم الواهية أفحمهم القرآن بالرد عليها كما قال تعالى (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين)
4- مسايرة الحوادث والوقائع فكلما جد أمر نزل القرآن بأبلغ البيان فيه ، وهذا لا يتأتى لو نزل جملة فكيف ينزل مثلا قضية المجادلة التي جادلت في زوجها عندما ظاهر منها قبل وقوعها ؟ وكيف يحصل العتاب على أمر الغنائم وفداء الأسارى في بدر قبل أن يحصل ذلك ؟ وهكذا.
5- التدرج في التشريع بما يوافق المصلحة كما حصل في التدرج في تحريم الخمر .
6- الدلالة على أنه من عند الله لأن أي بشر لو فرق كلامه خلال ثلاث عشرة سنة لاختلف اختلافا بينا حسب ما يعتريه من تغيرات نفسية وثقافية ، أما القرآن فلأنه من عند الله لم يختلف في أسلوبه ولا إعجازه خلال تلك الفترة كلها قال تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)

الوحي :

الوحي هو إعلام على وجه الخفاء وقد جاء في القرآن بمعنى الإلهام كما قال تعالى (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه) وقال (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا) ، وبمعنى الوسوسة قال تعالى (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم) وبمعنى الإشارة قال تعالى (فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا)

والقرآن والسنة كلاهما وحي من الله قال تعالى عن رسوله ﷺ : "وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) . قال ابن حزم رحمه الله : فصح بذلك أن الوحي ينقسم من الله عزوجل إلى رسوله إلى قسمين : أحدهما وحي متلو مؤلف تأليفا معجز النظام وهو القرآن ، والثاني وحي مروي منقول غير مؤلف ولا معجز النظام ولا متلو لكنه مقروء.

وجاء في عدة أحاديث ما يدل على أن السنة كانت توحى إلى النبي ﷺ ، لدرجة أنه كان يعتريه أحيانا ما يعتريه عند تنزل القرآن.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجت سودة بعدما ضرب الحجاب لحاجتها ، وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها ، فرآها عمر بن الخطاب فقال : يا سودة ، أما والله لا تخفين علينا ، فانظري كيف تخرجين . قالت: فانطفأت راجعة ، ورسول الله ﷺ في بيتي ، وإنه ليتعشى وفي يده عرق ، فدخلت فقالت: يارسول الله ، إني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا ، قالت : فأوحى الله إليه

، قم رفع عنه وإن العرق في يده ما وضعه ، فقال : إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن .

وقال تعالى: ضامنا للأمةحفظ دينه : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) والسنة من الذكر المنزل بنص القرآن ، قال تعالى: (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون)

وقال أبو محمد : وقال تعالى : (قل إنما أنذركم بالوحي) فأخبر تعالى كما قدمنا أن كلام نبيه ﷺكله وحي ، والوحي بلاخلاف ذكر، والذكر محفوظ بنص القرآن .

وطرق الوحي ثلاثة ذكرها الله سبحانه في قوله : وماكان لنبي أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء

فإما أن يكون مناما ورؤيا الأنبياء وحي كما حدث كثيرا للنبي ﷺ ، وكما حدث لإبراهيم عليه السلام في قصة ذبح إسماعيل .

وإما أن يكون كلاما من وراء حجاب كما حث لموسى عليه السلام ، وبعض أهل العلم يدخل فيه ما حصل بالمعراج للنبي ﷺ عند من يقول بكونه يقظة

وإما أن يكون بإرسال رسول مثل إرسال جبريل للنبي ﷺ ولذلك طرق ثلاثة

الأول : أن يأتيه في مثل صلصلة الجرس وهنو أشده على النبي ﷺ فيفصم عنه وقد وعى ما يقول .

الثاني : أن يتمثل له رجلا فيكلمه فيعي ما يقول

الثالث : أن ينفث في روعه ما يريد فيعيه النبي ﷺ.

وقد نزل للنبي ﷺ غير جبريل ملك الجبال كما في قصة عرض نفسه ﷺ على أشراف الطائف ، ونزل عليه ملك بشره بالفاتحة وخواتيم سورة البقرة وأنهما لم يؤتهما نبي قبله كما في حديث ابن عباس في صحيح مسلم ، وغير ذلك وأما الموحى به فأقسام ثلاثة:

القرآن الكريم : ويكون معناه من عند الله ولفظه من عند الله وهو كلام الله معجز في لفظه ونظمه ومعانيه يتعبد بتلاوته ولا تجوز روايته بالمعنى سمعه جبريل من رب العزة فأداه كما سمعه للنبي ﷺ فأداه النبي ﷺ كما سمعه من جبريل .

السنة النبوية : وتنقسم إلى :

الحديث النبوي : ويكون معناه من الله ولفظه من الرسول ﷺ وهو كلام بليغ غير معجز ولا يتعبد بتلاوته وتجوز روايته بالمعنى

الحديث القدسي: وهو مثل الحديث النبوي إلا أنه قد اختلف في لفظه فقيل من الله وهو مشكل جدا ، وقيل من النبي ﷺ وهو يلتبس بالحديث النبوي ، وقيل من جبريل وهو أقرب الأقوال وأرجحها وقد يؤيده وصفه بأنه قدسا مع وصف جبريل بكونه روح القدس والله أعلم.

أول مانزل وآخر ما نزل :

من مباحث علوم القرآن معرفة أول ما نزل وآخر مانزل وهو مما اختلف فيه العلماء ونستطيع أن نحصر الخلاف في أول ما نزل في صدر سورة العلق ، وصدر سورة

المدثر والفاتحة . وقد قال بكل ممن ذلك جماعة من العلماء ويمكن الجمع بينها بتدرج الروايات فنقول :

أول ما نزل من القرآن على الإطلاق هو صدر سورة العلق لأن نزولها كان عند فجأة الوحي للنبي ﷺ في غار حراء كما دل عليه لفظ الرواية ولم يكن تقدمها شيء سوى الرواية التي فيها نفس الآيات .

ثم كان نزل الفاتحة كاملة فهي أول ما نزل كسورة كاملة في اليوم التالي عندما علم جبريل النبي ﷺ الصلاة حسب ما ثبت في الحاديث وذكره ابن إسحاق في السيرة .

ثم فتر الوحي أي انقطع فترة عن النبي ﷺ مدتها ثلاثة أيام على الأرجح فكان أو ما نزل بعد فترة الوحي هو صدر سورة المدثر وقد دلت رواية جابر في الصحيح على ذلك صراحة

وهناك أولية يتحدث عنها العلماء باعتبار الموضوع فيقال : أول ما نزل في الخمر ، وأول مانزل في القتال ونحو ذلك .

أما آخر ما نزل فقد اختلف فيه اختلافا كبيرا

فقيل آخر ما نزل : آية الربا ، وقيل : واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ، وقيل : آية الدين

ويجمع بين تلك الأقوال الثلاثة بأنها نزلت كلها دفعة واحدة وهي في المصحف في نسق واحد فذكر كل صاحب قول جزء منها ، والمراد أنه آخر ما نزل في الربا

وقيل : آية الكلالة : وتوجيه ذلك أنها آخر مانزل في المواريث

وقيل : سورة المائدة والتوجيه أنها آخر مانزل في الحلال والحرام

وقيل : (فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى) والتوجيه أنها آخر مانزل في أمر النساء.

وقيل : (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم) والتوجيه أنها آخر ما نزل في القتل

وقيل: سورة النصر والتوجيه أنه آخر سورة كاملة

وقيل: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم) وهو أقرب الأقوال لحديث جمع القرآن ومناسبتها للختام والله أعلم.

أسباب النزول:

ومن علوم القرآن معرفة أسباب النزول

وسبب النزول : هو حادثة أو سؤال يعقبه نزول القرآن

ويعرف سبب النزول بأمرين : بتصريح الصحابي بذلك ، أو بسوق الحادثة أو السؤال وتعقيبه بما يدل على السببية .

وله صيغ:

صيغة صريحة في السببية : وهي أن يذكر الحادثة أو السؤال ويتبع ذلك بلفظ : فنزلت .

معبرا بقاء السببية . أو يصرح بالسببية فيقول : نزلت بسبب كذا .

صيغة محتملة للسببية وهي أن يقول نزلت في كذا .

وكذلك لأنها تحتمل إرادة أن الحكم تشمله تلك الآية أن ذلك هو السبب التي نزلت لأجله وكذلك إذا قال : أحسب هذه الآية نزلت في كذا .

وقد تتعدد الروايات الواردة في سلب نزول الآية الواحدة أو آيات معينة والعمل عند ذلك كالآتي

أولا : قد يكون بعضها ضعيفا وبعضها صحيحا فيقدم الصحيح .

ثانيا : إذا كان كلها صحيحة يقدم الصريح في السببية .

ثالثا: إذا كانت كلها صريحة في السببية ينظر فلعل بعضها يقصد به التلاوة وليس النزول وعبر عنه بعض الرواة بالنزول .

رابعا: إذا لم يمكن ذلك نقوم بالترجيح فيقدم مثل الرواة التي كان الصحابي فيها حاضرا على التي لم ينص على حضوره فيها

خامسا: إذا تعدد كل ذلك وهو شبه مستحيل تقال تتعدد النزول وأن الآية نزلت أكثر من مرة

ويلاحظ أنه لا مانع من تعدد أسباب النزول لآية واحدة بمعنى حصول أكثر من سبب في وقت متقارب سابق للنزول فتنزلت الآية بسبب ذلك جميعا .

فوائد معرفة أسباب النزول

1- معرفة حكمة تشريع

2- فهم معنى الآية ، كما في قوله تعالى (إن الصفا والمروة من شعائر الله)

الآية فإن عروة لم يفهمها حتى ذكرت له عائشة رضي الله عنها سبب نزولها

3- تخصيص الحكم كما في قوله تعالى(لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا...) الآية فإن سبب النزول بين أنها خاصة باليهود .

4- معرفة من نزلت فيه حتى لا يتعداه كما في قوله (والذي قال لوالديه أف لكما ..) الآية فقد نزلت في شخص معين يبينه سبب النزول فلا تتعداه لغيره وهناك قاعدة تتعلق بأسباب النزول وهي قولهم العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وذلك إذا نزلت الآية بلفظ عام

التفسير

معنى التفسير لغة: هو الكشف والبيان قال تعالى : ولايأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا)

واصطلاحا: هو علم يفهم به القرآن ويبين معناه ويستخرج أحكامه وحكمه.

والتفسير والتأويل معناهما واحد عند السلف وقد قال ﷺ لابن عباس : اللهم علمه التأويل يعني التفسير

والتأويل جاء في الشرع بمعنى فعل والمأمور به كما قالت عائشة كان رسول الله ﷺ يتأول القرآن تعني قوله : سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك . وقوله سبحانه وتعالى(فسبح بحمد ربك واستغفره)

وجاء بمعنى : وقع المخبر عنه كما في قوله هو ينظر إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق)

وجاء بمعنى تفسير الكلام كما في قوله (وما يعلم تأويله إلا الله)

وهذا هو الموافق للتفسير .

فضل التفسير والحاجة إليه : لا شك أن علم التفسير من الأهمية بمكان ولذا قال إياس بن معاوية : مثل من يقرأ القرآن ومن يعلم تفسيره ومن لا يعلم مثل قوم جاءهم كتاب من صاحب لهم ليلا وليس عندهم مصباح فتداخلهم لمجيء الكتاب روعة لايدرون ما فيه فإذا جاءهم المصباح عرفوا ما فيه .

وإن أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسيير القرآن ، لأن شرف الصناعة إما بشرف موضوعها ، وإما بشرف غرضها ، وإما بشدة الحاجة إليها ، فصناعة التفسير قد حازت الشرف من الجهات الثلاثة أما من جهة الموضوع فلأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة فيه نبأ ماقبلكم وخبر ما بعدكم وحكم مابينكم لايخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه. وأما من جهة الغرض فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تغني . وأما من جهة شدة الحاجة فلأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجلي أو آجلي مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى.

نشأته ومدارسه:

كان التفسير في عهد النبي ﷺ يعتمد اعتمادا كليا على تطبيق النبي ﷺ وتوضيحه لآيات القرآن فكل حياته ﷺ تعتبر تفسيرا متكاملا للقرآن الكريم فقد كان ﷺ قرآن يمشي على الأرض وكما قالت عائشة : كان خلقه القرآن.

ولاشك أن أقوال النبي ﷺ قد فسرت القرآن وبينت مجمله ، فالقرآن سواء كان اعتقادا أو عبادات أو معاملات أو أخبار جاء عنه ﷺ تفصيلها وتوضيحها أبلغ توضيح.

أما تفسير المفردات فهذا لم يرد عن النبي ﷺ إلا في آيات ذوات عدد كما جاء عن عائشة.

وكان الصحابة رضي الله عنهم يفهمون القرآن عن طريق تفسير بعضه بعضا فما أجمل في مكان بين في مكان آخر ، وعن طريق النبي ﷺ بما يفسره لهم قولا وعملا، وعنن طريق سليقتهم العربية التي كانت توضح لهم المفردات.

وخلال تلك الفترة لم يدون التفسير ولم يتخذ شكلا منظما ، وربما علق بعض الصحابة على مصحفه شيئا من التفسير وكان ذلك سببا في اعتباره قراءة بعد ذلك.

وأما بعد وفاة النبي ﷺ فاتخذ التفسير شكلا منظما بدون تدوين واشتهرت مدارسه:

مدرسة التفسير في مكة وكان إمامها حبر الأمة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس واشتهر من تلاميذ تلك المدرسة سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة.

ومدرسة التفسير بالمدينة وكان إمامها أبي بن كعب واشتهر من تلاميذها أبوالعالية ومحمد بن كعب القرظي وزيد بن أسلم .

ومدرسة التفسير بالعراق وكان إماها عبدالله بن مسعود واشتهر من تلاميذها الشعبي والحسن وقتادة ومرة الهمداني .

ثم بدأ عصر التدوين للتفسير في أواخر عصر بني أمية فصنفت التفاسير التي تستوعب القرآن كاملا بداية من أوله وحتى آخره بذكر ما ورد في كل آية من تفسير مأثور فاشتهر من تلك التفاسير تفسير وكيع بن الج وتفسير عبد بن حميد وتفسير آدم بن أبي إياس وتفسير القرآن عن طريق القرآن والسنة ثم أقوال الصحابة ثم أقوال التابعين وهي أحسن طريقة لتفسير القرآن.

ومن الكتب التي تندرج تحت ذلك أيضا تفسير ابن جرير الطبري وتفسير بقي بن مخلد وتفسير ابن كثير وتفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي .

وأما القسم الثاني من قسمي التفسير فهو التفسير بالرأي وينقسم بدوره إلى قسمين:

التفسير بالرأي المحمود : والمراد به التفسير الموافق لكلام العرب مع موافقة الكتاب والسنة ومراعاة الشروط التي يجب توافرها للمفسر وتحصيله للعلوم

اللازمة ، وقد انتشرت هذه المدرسة وكثرت التفاسير المبنية عليها من تفساير لغوية وتفاسير فقهية ونحوها وقد وقع أصحابها في مزالق ليس هذا مجال تفصيلها.

ومن أمثلة هذه التفاسير : تفسير المحرر الوجيز لابن عطية، والبحر المحيط لأبي حيان، إرشاد العقل السليم لأبي السعود وغيرها .

ومن التفساير الفقهية : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، أحكام القرآن لابن العربي ، أحكام القرآن للجصاص وغيرها .

الثانية: مدرسة التفسير بالرأي المذموم وقد تولى كبرها طوائف متعددة من المبتدعة والمتزندقة مثل الصوفية الطولية والشيعة والخوارج والمعتزلة ونحوهم من الفرق الضالة التي حرفت كتاب الله وخرجت به عن مقاييس اللغة فضلا عن تفسير السلف الصالح بل عن العقل جملة في كثير من الأحيان.

ومن أمثلة هذه التفاسير : الكشاف للزمخشري المعتزلي ، فنصوص الحكم وفتوحات المكية لابن عربي الصوفي الاتحادي ، أساس التأويل لأبي حنيفة النعمان بن محمد الشيعي الباطني ، تفسير كتاب الله العزيز لهود بن محكم الهواري الخارجي الإباضي وغيرها .

ولابد أن ينبري لتفسير القرآن أن يحصل علوما كثيرة فمن ذلك:

علوم القرآن كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقصص، علوم الحديث ومعرفة صحصحه من سقيمه ، علوم اللغة والنحو والصرف والاشتقاق

والبلاغة ، وأصول الفقه ، علم القراءات ، علم الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين ، علم التاريخ والسيرة ، علم العقائد والأديان ، الموهبة.

ويشترط فيه : صحة الاعتقاد ، التجرد عن الهوى ، تفسير القرآن بالقرآن والسنة ثم بأقوال الصحابة والتابعين ثم بمدلولات اللغة .

ومن آدابه :

صلاح النية ، وحسن الخلق ، وصدق النقل ، والتواضع ، والجهر بالحق ، والتروي ، وتقديم من هو أولى منه ، وحسن الإعداد .

إعجاز القرآن :

الإعجاز هو إثبات العجر وهو القصور عن الفعل ضد القدرة .

وقد أيد الله عز وجل كل نبي من أنبيائه بدلائل تدل على صدق رسالته ومنها معجزات يتحدى بها النبي قومه فيعجزوا عن معارضتها وكانه أعظم ما أوتيه النبي ﷺ دلالة على صحة رسالته ، هو نفس القرآن العظيم الذ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

قال تعالى: (وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين . أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : "ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات مامثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة .

فالقرآن الكريم هو المعجزة الخالدة للرسالة المحمدية لكونها الرسالة الخاتمة ، وذلك أن المعجزات الأخرى معجزات وقتية لأنها رسالات وقتية ، ودلالتها على صحة الرسالة لا تكون إلا لمن عاينها ، ولذا خص النبي ﷺ هذه المعجزة هنا بالذكر .

وللحافظ ابن حجر كلام جامع للمعنى الذي لأجله خصت هذه المعجزة بالذكر هنا وهانحن نذكره .

قال: قوله (وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي) أي أن معجزتي التي تحديت بها الوحي الذي أنزل علي ، وهو القرآن ، لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح ، وليس المراد حصر معجزاته فيه ، ولا أنه لم يؤت من المعجزات ما أوتي من تقدمه ، بل المراد أنه المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره ، لأن كل نبي أعطي معجزة خاصة به لم يعطها بعينها غيره تحدى بها قومه ، وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه ، كما كان السحر فاشيا عند فرعون فجاءه موسى بالعصا على صورة مايصنع السحرة ، لكنها تلقفت ماصنعوا ، ولم يقع ذلك بعينه لغيره وكذلك إحياء عيسى الموتى وإبراء الأكمه والأبرص لكون الأطباء والحكماء كانوا في ذلك الزمان في

غاية الظهور ، فأتاهم من جنس عملهم بما لم تصل قدرتهم إليه . ولهذا لما كان العرب الذين بعث فيهم النبي ﷺ في الغاية من البلاغة ، جاءهم بالقرآن الذي تحداهم أن يأتوا بسورة مثله ، فلم يقدروا على ذلك .

وقيل : المراد أن القرآن ليس له مثل لا صورة و لاحقيقة ، بخلاف غيره من المعجزات ، فإنها لا تخلو عن مثل . وقيل المراد أن كل نبي أعطي من المعجزات ماكان مثله لمن كان قبله صورة أو حقيقة ، والقرآن لم يؤت أحد قبله مثله . فلهذا أردنه بقوله : "فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا" وقيل: المراد أن الذي أوتيته لا يتطرق إليه تخييل ، وإنما هو كلام معجز لا يقدر أحد أن يأتي بما يتخيل منه التشبيه به ، بخلاف غيره فإنه قد يقع في معجزاتهم ما يقدر الساحر أن أن يخيل شبهه ، فيحتاج من يميز بينهما إلى نظر ، والنظر عرضة للخطأ ، فقد يخطيء الناظر فيظن تساويهما . وقيل : المراد أن معجزات الأنبياءؤ انقرضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدهم إلا من حضرها ، ومعجزة الققرآن تشاهد بالبصيرة ، فيكون من يتبعه لأجلها أكثر لأن الذي شيشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده ، والضي يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمرا. قلت : ويمكن نظم هذه الأقوال كلها في كلام واحد ، فإن محصلها لا ينافي بعضه بعضا .

ا.هـ

وأما وجه إعجاز القرآن الدالة على كونه من عند الله تعالى فكثيرة جدا ، أعلاها ما جاء فيه نفسه من تحد للإنس والجن باق بإلى يوم القيامة على أن يأتوا بمثله فلم يحصل ، ولن يحصل.

قال تعالى : (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)

قال الحافظ ابن حجر : قد جمع بعضهم إعجاز القرآن في أربعة أشياء :

أحدها : حسن تأليفه ، والتئام كلامه ، مع الإيجاز والبلاغة

ثانيها : صورة سياقه ، وأسلوبه المخالف لأساليب كلام أهل البلاغة عن العرب نظما ونثرا ، حتى حارت فيه عقولهم ، ولم يهتدوا إلى الإتيان بشيء مثله مع توفر دوايعهم على تحصيل ذلك ، وتقريعه لهم على العجز عنه .

ثالثها : ما اشتمل عليه من الأخبار عما مضى من أحوال الأمم السابقة ، والشرائع الدائرة ، مما كام لا يعلم منه بعضه إلا النادر من أهل الكتاب .

رابعها : الإخبار بما يسيأتي من الكوائن التي وقع بعضها في العصر النبوي ، وبعضها بعده .

ومن غير هذه الأربعة : آيات ووردت بتعجيز قوم في قضايا أنهم لا يفعلونها ، فعجزوا عنها مع توفر دواعيهم على تكذيبه ، كتمني اليهود الموت . ومنها الروعة التي تحصل لسامعه .

ومنها أنه آية باقية لا تعدم مال بقيت الدنيا . ومنها جمعه لعلوم ومعارف لاتنقضي عجائبها ولاتنتهي فوائدها . ا.هـ

ويمكن أن نجمل بعض المعاني التي يرجع إليها براعة النظم والتأليف ، في تسع نقاط فنقول :

1- نظم القرآن ككل خارج عن المألوف من كلام مالعرب كالشعر والنثر وغير ذلك.

2- فصاحة الألفاظ ، وقوة المعاني ، وكثرة الحكم ، مع عدم التفاوت والاختلاف ، مما لا يعرف في أسلوب أحد من البشر . قال تعالى (الله نزل أحسن الحديث)

3- اشتمال القرآن على كثير من الأغراض مثل : القصص، والمواعظ ، والأحكام ، والإعذار ، والإنذار ، والحكم ، وقد جاء في أروع ما يمكن أن يكون من براعة النظم والتأليف . أما الشاعر البليغ فلا يجيد إلا لونا واحدا أو لونيني ، فإذا خرج عما اعتاد عليه وبرع فيه ، أساء وقصر .

4- أنه وقع موقعا من البلاغة ، عجز عن الإتيان بمثله الجن كما عجز الإنس ، لأنه تحداهم فبلحوا . قال تعالى : (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) وقال : (قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا

إنا سمعنا قرآنا عجبا . يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا)

5- اشتماله على جميع أنواع البلاغة ، ويتجاوزها إلى ما لم يعرفه العرب ولا يستطيعونه .

6- يتضمن كثيرا من الأحكام الرائعة التي لا خلاف فيها ، والرد على الملحدين بأبدع الحجج والألفاظ ، فأتي بتشريع متكامل ، وهذا لا يستطيعه البشر .

7- إذا اقتبس منه الأدباء بعض ألفاظه ، جمل أسلوبهم ، وزادت فصاحتهم ، وتكون الآية في كتاباتهم كالقلادة في العقد .

8- أنه تألف من حروف العرب ، وقد افتتحت بعض السور بهذه الحروف تنبيها على ذلك ، ومع هذا فلم يستطيعوا أن يأتوا بمثله .

9- أتى في أسلوب سهل لاغموض فيه ، له تأثير عجيب في النفوس ، يبادر معناه لفظه إلى القلب .

ومن الكتب التي تكلمت عن إعجاز القرآن البياني إعجاز القرآن للباقلاني ، بيان إعجاز القرآن للخطابي ، النكت في إعجاز القرآن للرماني .

والقرآن معجز في بيانه ، وفي عجائبه ، وفي أسرار ترتيبه ، بل في رسمه ، وطريقة تلاوته ، بل في كيفية حفظه إلى الاجيال على مر الدهور .

وانظر ما كتبه الرازي في كتابه عجائب القرآن من أسباب تشبيه الإيمان فيه بالنار وتشبيهه بالنور وابالتراب والماء ، وما الحكمة في تشبيه نور المعرفة بنور السراج وبالمصباح ، وغير ذلك كثير .

وانظر ما كتبه السيوطي في أسرار ترتيب القرآن الذي تكلم فيه عن مناسبات ترتيب السور ، وبيان أن كل سورة تشرحه لما أجمل في السورة التي قبلها ، ومناسبة أوائل السور لأواخرها ، ومناسبة أسماء السور لها ، وغير ذلك .

وأما رسمه ، فانظر ما كتبه الزركشي في كتابه البرهان في فصل اختلاف رسم الكلمات في المصحف ، والحكمة فيه ، وذكر أنه قد تصدى له بالتأليف ابن البناء في كتابه "عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل " وبين أن هذه الأحرف إنما اختلف حالها في الخط ، بحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها ومن فوائد ذلك أيضا التنبيه على العوالم الغائي والشاهد ومراتب المقامات ... ثم ذكر الزركشي ما يثبت ذلك بالتفصيل .

وأما طريقة تلاوته وقراءاته ، فهي معروفة مشهورة ، لاتشبه قراءة غيره ، ولا يشاركه فيها شيء ، والكتب في بيان ذلك كثيرة .

وأما كيفية حفظه من التحريف والضياع والنسيان على مر العصور ، فسبق الحديث عنها في جمع القرآن .

وأما وجوه إعجاز القرآن التي تكلم فيها أهل العلم في العصور المتأخرة فكثيرة ، أثبتت عطاء القرآن الخالد في إقامة الحجة على الناس في كل عصر وزمان .

فإعجاز القرآن في العلوم الإنسانية وغيرها من العلوم الحديثة كعلم الاجتماع ، وعلم النفس ، وعلم الفلسفة ، وعلم الأجنة ، وعلم الطب ، وعلم الفلك ، وعلم النبات ، وعلم الحيوان ، وعلم الكيمياء ، وعلم الوراثة ، وعلم طبقات الأرض ، وعلم الفضاء ، وعلم الحساب وعدد ، بل وعلم الموسيقى ، وغير ذلك قد أشبعه الكتاب والباحثون بدراسات تفصيلية لاتدع مجالا للشك في كون هذا القرآن هو الرسالة الخالدة من عند العليم الخبير .

ومما كتب في ذلك كتاب معجزة الأرقام والترقيم في القرآن الكريم لعبدالرزاق نوفل ، الإعجاز الطبي في القرآن الكريم للسيد الجميلي وكتاب الإعجاز الجيولوجي في القرآن .

القدر المعجز من القرآن

لقد ثبت تحدي الله عز وجل العرب أن يأتتوا بمثل هذا القرآن فلم يقروا فتحداهم بعضر سور فقال (فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) فلم يقدروا فتحداهم بسورة واحدة فقال (فأتوا بسورة مثله) وقد اختلف أهل العلم في القدر المعجز من القرآن .

فقيل: الإعجاز يتعلق بجميع القرآن فهو في مجموعه معجز . وهذا يبطله نصوص الآيات التي جاء فيها التحدي.

وقيل : الإعجاز في قليله وكثيره ولا يتعلق بقدر معين ، وهذا غير منضبط ، ولا شك أن الكلمة والكلمتين يمكن الإتيان بمثلها .

وقيل : الإعجاز يكون في أقصر سورة من سوره أو ما يقابلها من الآيات . وهذا أرجحها ويتفق مع ثبوت التحدي بسورة منه كما سبق ذكره . وأقصر سور القرآن سورة الكوثر .

القول بالصرفة : ذهب البعض إلى القول بالصرفة وهي أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم على ذلك ولولا أن الله سلبهم هذه القدرة لأتوا بمثله .

وهذا القول باطل من وجوه :

أولها: شهادة العرب أنفسهم بأنه ليس مثل كلام البشر ونحو ذلك ومنهم الوليد بن المغيرة حيث قال : والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو ولا يعلى عليه ، وما هو بقول بشر .

ومنهم عتبة بن ربيعة حيث قال : والله ما سمعت بمثله قط وما هو بالشعر ولا السحر ولا كهانة .

ومنهم أنيس الغفاري أخو أبو ذر حيث قال : لقد وضعت قوله على أقراء الشعر فما هو بالشعر وما هو بالكهانة وإنه لصادق وهم كاذبون.

ومنهم جبير بن مطعم قال لما سمع القرآن : كاد قلبي أن يطير

وغير ذلك بل كانت فصاحة القرآن سببا في إسلام جماعة منهم عمر بن الخطاب .

ثايها : ثبوت العجز الفعلي عن المعارضة ولم يقل أحد أنه كان بمقدوره المعارضة إلا أنه منع منها وقد كان الرجل يسمع بالقصيدة فيسارع إلى معارضتها وقد عارضوا شعر حسان وغيره .

ثالثها : أنه قد حاول بعضهم المعارضة الفعلية ولكن لقلة عقله وسخافته مثل مسيلمة الكذاب لعنه الله فأتي بما يضحك مثل قوله (والطاحنات طحنا ، فالعاجنات عجنا ،

والثاردات ثردا ، خبزا ولحما) ونحو ذلك من الهراء ، وأما العقلاء فيعلمون عجزهم عن المعارضة لإدراكهم بلاغة القرآن .

رابعها : أنه لو كان الإعجاز في الصرفة لكان بأهون التحديات ولا داعي لمثل هذا القرآن العزيز بهذه المبالغة منقطعة النظير ، فلو شاء الله أن يتحداهم بالصرفة لمنع أحدهم مثلا من رفع يده أو أقل من ذلك مما هو في مقدور كل واحد .

خامسها : أن التحدي إلى شيء ثم سلب القدرة على معارضته لامعنى له . والدعوة إلى الاجتماع للتحدي يدلل على العجز لا الصرفة كما في قوله (قل لئن اجتمعت الإنس والجن ...) الآية .

سادسها : أن القرآن كغيره من معجزات الأنبياء حقيقة الإعجاز فيه عدم القدرة لا الصرفة .

ترجمة القرآن :

تنقسم الترجمة عامة إلى قسمين :

ترجمة حرفية : وهي نقل الألفاظ من لغة إلى نظائرها من لغة أخرى مع الحفاظ على النظم والترتيب .

ترجمة معنوية : وهي بيان معنى الكلام بلغة أخرى .

والترجمة الحرفية مذمومة في الجملة لأنها لا تؤدي المعنى المراد بل أحياينا توهم غيره ، وحكمها بالنسبة للقرآن التحريم لأنها تحريف له ولا يمكن أن تؤدي معناه ، ولئن كانت محاولة معارضة القرآن بنفس لغته مستحيلة فكيف يمكن ترجمته حرفيا بلغة أخرى ؟

وأما الترجمة المعنوية فهي كذلك غير ممكنة للقرآن لأن القرآن له معان ثانوية غير المعاني الأصلية التي تتضح للمتأمل بسهولة ، وذلك ما عليه القرآن من بلاغة وبيان ، ولاشك أيضا أن الوصول إلى معاني القرآن لا يمكن بنفس لغته فكيف بلغة أخرى ؟

والجائز في ترجمة القرآن هو الترجمة التفسيرية :

والترجمة التفسيرية ترجمة معنوية لتفسير القرآن وليست للقرآن نفسه .

وهي مهمة وضرورية لكي يحصل البلاغ للأمم التي لا تتكلم باللغة العربية وتحتاج إلى تفهم ما نزلت به الرسالة الخاتمة .

وللمترجم شروط منها :

1- أن يكون ملما باللغتين
2- أن يكون صحيح الاعتقاد مجردا من الهوى

وللترجمة التفسيرية شروط منها :

1- أن يؤكد على كونها ترجمة للتفسير لا للمعنى
2- أن يبين أنها ترجمة لفهم شخص معين قد يخالفه غيره
3- أن يذكر بعض الوجوه الأخرى الواردة في فهم الآية

وقد أفاض الشيخ الزرقاني في كتابه مناهل العرفان في الحديث عن ترجمة القرآن .

آداب التلاوة وأخلاق الحفاظ:

لتلاوة القرآن آداب ينبغي مراعاتها وبعضها يجب على القاريء والبعض الآخر من باب الكمال ومن هذه الآداب

إخلاص النية ، الوضوء ، طهارة المكان ، استعمال السواك ، الاستعاذة قبل البدء في القراءة ، البسملة ما عدا في بداية سورة براءة ، الخشوع ، القراءة بالتجويد ، تحسين الصوت والتغني والجهر بدون تشويش على الآخرين ، تقطيع الآيات آية آية ، التدبر والتأثر بما يقرأ.

ومما ينبغي لحفظة القرآن :

الالتزام بما في كتاب الله ، تعاهد القرآن لقوله ﷺ : تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيد لهو أشد تقلتا من الإبل في عقلها ، والحرص على الورد بحيث لا يقرأ القرآن في أقل من ثلاث لقوله ﷺ لعبد الله بن عمر بن العاص عندما أراد أن يقرأه في أقل من ثلاث . لا أكثر من ذلك ، تعليم القرآن للغير بدون أجر ، ألا يروا أحدا أفضل نعمة منهم ، عدم الاختلاف فيما بينهم في كتاب الله ، الحذر من الرياء والعجب .

ومن الكتب التي صنفت في ذلك كتاب التبيان في آداب حملة القرآن للنووي .

من مراجع هذا المبحث مما لم يذكر فيه :

الإسلام ونبي الإسلام للطرهوني

تاريخ التشريع الإسلامي لمناع القطان

رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية لغان قدوري

التبيان في علوم القرآن للصابوني

ثانيا : المدخل إلى علوم الحديث

تعريف السنة:

السنة في اللغة : الطريقة قال ﷺ: لتتبعن سنن من كان قبلكم ... الحديث

وأما في الاصطلاح فتختلف باختلاف المشارب

فالسنة عند أهل الحديث : هي كل ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة . وذلك لأنهم يهتمون بكل ما يتعلق به ﷺ.

والسنة عند الأصوليين : هي كا ما أثر عن النبي ﷺمن قول أو فعل أو تقرير . وذلك لأنهم يهتمون بما يؤصلون به القواعد ويستنبطون منه الأحكام . وتطلق عندهم أيضا على سنة الخلفاء الراشدين .

والسنة عند الفقهاء : هي ما نقل عن النبي ﷺ من غير افتراض ولا وجوب . لأنهم يهتمون بالأحكام الخمسة من وجوب وتحريم وندب وكراهة وإباحة . وتطلق أيضا عندهم على ما يقابل البدعة .

والسنة تشمل الحديث النبوي والحديث القدسي وقد قدمنا في المدخل إلى علوم القرآن الفرق بينهما وبين القرآن

أما ماثبت من كتاب من الله لنبيه ﷺ في أمر الأسارى ببدر وأمر المخلفين وقصة ابن أم مكتوم ونزول عبس وتولى فهو نوع من التشريع على حد ما رواه مالك مرسلا : إنما أنسى أو أنسى اللاشرع.

وأما ما قاله ﷺ ونص على كونه ظنا منه فالوحي لاظن فيه فهو نوع من الاجتهاد وذلك كما حصل في قضية تأبير النحل وقد قال فيها النبي ﷺ : إنما ظننت ظنا . وقال : أنتم أعلم بشئون دنياكم .

مكانة السنة وحجيتها :

إن الرسالة المحمدية تنقسم إلى قسمين لا ينفصل أحدهما عن الآخر ، أعني الكتاب والسنة . فالسنة كما قدمنا في المدخل إلى علوم القرآن وحي من الله تعالى ، كما أن القرآن وحي . وهي من الذكر الذي تكفل الله بحفظه .

فعن المقدام بن معدي كرب عن رسول الله ﷺ أنه قال : "ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ، لا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم هذا القرآن ما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه" .

وقال ﷺ : "من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله" .

وقال : "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ"

والسنة هي البيان للقرآن كما قدمنا عند كلامنا على التفسير ، فهي كما قال بعض أهل العلم قاضية على الكتاب ولا يمكن فهم القرآن بغيرها قال تعالى: (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم)

وقد روي عن عمران بن الحصين أنه أتاه رجل فقال له : يا أبا نجيد إنكم تحدثوننا بأحاديث لم نجد لها أصلا في القرآن فغضب عمران فقال للرجل : قرأت القرآن كله ؟ قال: نعم . قال : هل وجدت فيه صلاة العشاء أربعا ووجدت فيه صلاة المغرب ثلاثا ، والغداة ركعتين والظهر أربعا .... أودتم في القرآن في كل أربعين شاة شاة ... الخ الحوار الذي يدلل على حجية السنة .

وقد سمعت امرأة ابن مسعود وهو يلعن النامصات والمتنمصات والواشمات والمستوشمات والواصلات والمستوصلات والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله فأنكرت عليه فقال : ومالي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وذكره الله في كتابه فقالت : لقد قرأت ما بين اللوحين فلم أجد ذلك . فقالك : لئن ككنت قرأتيه لقد وجدتيه ثم قرأ (وما آتامكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا)

فهذه الآية نص في حجية النسنة ومثلها قوله سبحانه (من يطع الرسول فقد أطاع الله)

وقال : (وإن تطيعوه تهتدوا) وقال (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وقال : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم)

وكذلك فإن سنته ﷺ شاهدة على صدق رسالته ، ودالة على نبوته لما احتوت عليه من جوامع الكلم التي يحار فيها الطرف ومن إخبار بالمغيبات والنبوءات والمعجزات العلمية

والسنة هي الحكمة التي ذكرها الله تعالى في كتابه في مواضع كثيرة منها قوله (واذكرهن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة)

والسنة تنقسم من حيث النقل إلى قسمين :

الأول : نقل عن طريق التواتر وهو إما لفظي – ويعني رواية الجمع عن الجمع في جميع طبقات السند إلى النبي ﷺ بحيث تحيل العادة تواطؤهم على الكذب أو تواردهم على الخطأ نفس اللفظ أو نحوه .

وذلك مثل حديث : من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار .

وإما معنوي وهو نفس الشرط إلا أنه في المعنى فقط . وذلك مثل أحاديث المسيح الدجال والمتواتر من الحديث يكاد يكون في مستوى من الصحة يقارب مستوى القرآن

والقسم الثاني : نقل عن طريق الآحاد ، وهو ما لم يتوافر فيه شرط التواتر . فربما جاء من طرق ، وربما جاء من طريق واحد ، وكله حجة بشرط توافر الصحة . ولكنه في درجة دون درجة المتواتر ، وهو نفسه يتفاوت فيما بينه وبين بعضه .

والاحتجاج بخبر الآحاد في العاقائد والأحكام هو منهج سلف الأمه وهو ما يدل عليه فعل النبي ﷺ وصحابته الكرام ومن ذلك .

ما ثبت عن النبي ﷺأنه أرسل معاذا إلى اليمن ليعلمهم دينهم ويقضي بينهم بشريعة الله ، ولاشك أن كل ما يوصله معاذ لمن أرسل إليهم من اعتقادات وعبادات ومعاملات كله من الآحاد .

ومثل ذلك يقال في بعث أبي موسى وأبي عبيدة وعلي وغيرهم .

وقد ثبت أن النبي ﷺقبل قصة الجساسة وخبر المسيح الدجال من تميم الداري وخطب به في الناس ورواه عن تيم وهو خبر آحاد .

وأخذ الصحابة بعده بخبر الآحاد فأخذ أبوبكر به في ميراث الجدة ، وأخذ به عمر في الطاعون والجزية وغير ذلك كثير .

ولم تحصل التفرقة بين الآحاد والمتواتر في الاحتجاج إلا عندما دب البدع والأهواء في المسلمين ولم يجد أهل البدع ملجأ لدفع الحجج المتوجهة ضدهم من الأحاديث الكثيرة الصحيحة إلا التذرع بتلك البدعة الجديدة من القول بأن خبر الآحاد ظني لاحتمال الخطأ فيه فلا يصلح في العقائد .

وهذه الشبهة باطلة من وجوه خلا ما قدمانه من مخالفة ذلك لفعل النبي ﷺ وأصحابه :

أولها : أن الله قد تكفل بحفظ السنة فما أخطأ فيه راو حفظه الله لنا عن طريق غيره ، والأمثلة على ذلك كثيرة

ثانيها : أننا مأمورون بقبول خبر العدل الضبابط في كتاب الله قال تعالى (يا أيها الذي آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) وقال (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم) فليس لنا إلا تطبيق ما أمرنا به وعلى ذلك يكون حساب الله لنا .

ثالثها : أن دلالة النص القرآني على الاعتقادات وغيرها أيضا ظنية ، فحقيقة الأمر أن قطعية الثبوت وظنيته لا أهمية لها بقدر أهمية الدلالة لأننا نعتقد ونعمل بالدلالة وقد استوى الكل في ظنية الدلالة .

ومنهج رد أحاديث الآحاد هو منهج الطوائف الضالة من العقلانيين ومن يسمون بالقرآنيين ، وهو اللاقرآنيين ، وقد ظهرت لهم أصول في الصدر الأول ومن ذلك ما تقدم ذكره عن عمران بن حصين .

السنة في العهد النبوي :

ومن عهد النبي ﷺ بدأ حفظ السنة ، بضبطها في الصدور ، وتقييدها في السطور . وكان من أصحابه جهابذة حفاظ كأبي هريرة رضي الله عنه الذي اختص في ذلك بميزة لم تحصل لغيره

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثا ثم يتلو (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات ... إلى قوله الرحيم) . وإن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق ، وإن إخواننا من الأنصار كان

يشغلهم العمل في أموالهم ، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه ، ويحضر ما لا يحضرون ، ويحفظ ما لا يحفظون

وعنه رضيب الله عنه قال : قلت : يارسول الله إني أسمع منك حديثا كثيرا أنساه . قال: ابسط رداءك . فبسطته . قال : فغرف بيده ثم قال: ضمه . فضممته فما نسيت شيئا بعده.

وعنه رضي الله عنه قال : قلت : يارسول الله من أسعد الناس بشفعاتك يوم القيامة ؟ قال رسول الله ﷺ : لقد ظننت يا أباهريرة ألا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك ، لما رأيت من حرصك على الحديث .أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إليه إلى الله خالصا من قلبه أو نفسه .

فكان عدد رواة الحديث من الصحابة ما يقارب الألف نفس ، وقد ذكر أسماءهم أبو محمد بن حزم في رسالته "أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد " فذكر منهم أبا هريرة وله خمسة آلاف حديث وثلالثمائة وأبعة وسبعون حديثا ، ومن أصحاب الألفين فما زاد ابن عمر وأنسا وعائشة ، ومن أصحاب الألف فما زاد عبدالله بن عباس وجابر وأباسعيد الخدري ، وهكذا ذكر كل واحد وماله من الأحاديث .

وعد الذهبي رحمه الله الحفاظ الجهابذة من الصحابة فبلغوا ثلاثا وعشرين نفسا وترجم لهم .

أما المسجلون للحديث كتابة من الصحابة فرافع بن خديج وعبدالله بن عمرو بن العاص وعلي بن أبي طالب وابن عباس وأبو سعيد الخدري .

وكان من حرص الصحابة فرافع بن خديج وعبدالله بن عمرو بن العاص وعلي بن أبي طالب وابن عباس وأبو سعيد الخدري

وكان من حرص الصحابة على تلقي العلم عن رسول الله ﷺ ما كان يفعله عمر رضي الله عنه هو وجار له من الأنصار من التناوب على حضور مجلس النبي ﷺ ، ثم تبليغ كل واحد منهما الآخر بما سمع من النبي ﷺ كما ثبت ذلك في صحيح البخاري .

وأيضا كثر مجيء الصحابة رجالا ونساء إلى النبي ﷺلسؤاله عن أمور دينهم ، وحرصت النساء على تعلم سنته ﷺ عن طريق أمهات المؤمنين أيضا .

بل إن الرحلة لطلب الحديث كانت قد بدأت في عهده ﷺويتمثل ذلك في قدوم ضمام بن ثعلبة لسؤاله ﷺ عما افترض الله ، وكذا قدوم مثل وفد عبدالقيس وسؤالهم النبي ﷺ عن الإيمان ، ونحو ذلك .

عوامل انتشار السنة في العهد النبوي :

ويمكننا أن نلخص عوامل انتشار السنة في العهد النبوي في النقاط التالية:

1- حث النبي ﷺ أصحابه على تلقي السنة وتبليغها كما في قوله : "نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع" . وقوله : "فليبلغ الشاهد الغائب" .

2- وصيته ﷺ بأهل الحديث :

3- حرص الصحابة على تعلم السنة كما قدمنا .

4- وجود حفاظ جهابذة بعضهم بسبب ما شاتهر عن العرب من قوة الحفظ ، وبعضهم بسبب دعوة خاصة مثل أبي هريرة ..

5- استعانة البعض بالكتابة وترخيص النبي ﷺ لهم في ذلك

6- البعوث التي بعثها النبي ﷺ لتعليم الناس دينهم

7- الوفود التي قدمت إلى النبي ﷺللتعلم والتفقه في الدين .

السنة في عصر الصحابة والتابعين :

تعريف الصحابي

ذهب جمهور العلماء سلفا وخلفا إلى ما محصله أن الصحابي : من لقي رسول الله ﷺ بعد بعثته وقبل موته مؤمنا به ومات على ذلك

هذا التعريف مجموع ما ذكره ابن الصلاح وابن كثير وابن حجر والسيوطي

فيدخل فيه الجن ، ومن قصرت صحبته ولو لحظة ، ومن كان صغيرا ولو غير مميز ، ومن لم يرو عنه شيئا ومن لم يسمع منه ، ومن منعه من رؤيته عارض كالعمى ، ومن آمن به ومات مؤمنا ولو ارتد بين ذلك

ويخرج منه : من لقيه كافرا وإن أسلم بعد موته ، ومن لقيه متظاهرا بالإسلام وثبت نفاقه ، ومن لقبه مؤمنا بغيره لا به من أهل الكتاب ، ومن لقبيه قبل البعثة ثم آمن به ولم يره حال إيمانه ، ومن رآه بعد موته مؤمنا به ولم يره حال حياته ، ومن ارتد ومات على الردة والعياذ بالله .

وقد خالف البعض في ذلك والمختار ما ذكرناه

وقيل لأنس بن مالك : هل بقي من أصحاب رسول الله ﷺأحد غيرك ؟ قال : ناس من الأعراب رأوه فأما من صحبه فلا .

وإنما أراد بذلك الصحبة الخاصة ولا ينفي ما صطلح عليه الجمهور لشرف رسول الله ﷺوجلالة قدره وقدر من رآه وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺقال يأتي على الناس زمان يغزو فنام من الناس فيقال لهم فيكم من رأى رسول الله ﷺفيقولون نعم فيفتح لهم ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم فيكم من رأى من صحب رسول الله ﷺ فيقولون نعم فيفتح لهم. رواه البخاري وامسلم وغيرهما واللفظ لمسلم .

طرق معرفة الصحابي :

بالتواتر : مثل العشرة المبشرين بالجنة ونحوهم من المشاهير

بالاستفاضة : مثل ضمام وعكاشة

بشهادة غيره من الصحابة

بروايته عن النبي ﷺسماعا أو مشاهدة مع المعاصرة خلال مائة سنة من وفاته ﷺلقوله ﷺقبل وفاته بشهر : أرأيتم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى على وجه الأرض ممن هو اليوم عليها أحد . أخرجاه في الصحيحين

بشهادة تابعي عدل

بقوله عن نفسه أنا صحابي مع ثبوت العدالة له والمعاصرة.

عدالة الصحابة وفضلهم واقتداؤهم بالنبي ﷺ:

الصحابة كلهم عدول عند أهل السلنة والجماعة لما أثنى عليهم الله به في كتابه ولما نطقت به السنة النبوية في المدح لهم ، ولما بذلوه من الأرواح والأموال بين يدي رسول الله ﷺوبعد وفاته لنصرة هذا الدين وإعلاء كلمة التوحيد حتى صار كل من أتى بعدهم من أمة الإسلام حسنة من حسناتهم

وما حصل بينهم فإما من غير قصد كيوم الجمل وإما باجتهاد كيوم صفين للمصيب أجران وللمخطيء أجر واحد .

وليس الصحابة بمعصومين بل هم بشر يجوز عليهم ما يجوز على غيرهم إلا أن ما صدر من بعضهم ولو كان فيه ما فيه فهو إلى جانب شرف الصحبة وفضلها مغتفر معفو عن صاحبه ، والحسنات يذهبن السيئات.

فقد اطلع الله على أهل بدر فقال كما ثبت في الحديث : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم

وتجاوز عن تولى يوم أحد فقال : (إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور رحيم)

وتجاوز عن أخذ الغفداء من أسارى بدر فقال : (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذا بعظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا)

وتاب ماعز والغامدي توبة لو وزعت على أهل الأرض لوسعتهم

ولايعرف في أهل العلم من الصحابة ورواة الدين وأصحاب التفسير والفتوى أحد ثبتت عليه معصية لله عامدا لها تطعن في عدالته .

أما الخطأ والنسيان فقد تكفل الله عز وجل بحفظ هذا الدين ، والسنة النبووية من الذكر الذي أنزله الله وتكفل بحبحفظه حيث قال : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) . وقال: (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) . ولذا فإن الله سبحانه يكشف ما يعتري روايات بعضهم من خطأ أو نسيان بحفظ بعضهم الآخر للصواب في ذلك ولله الحمد والمنة .

وقد جمع الإمام الزركشي كتابا سماه الإجابة فيما استدركه عائشة على الصحابة يبين فيه شيئا من ذلك وهو مطبوع وفيه أمثلة لما قدمناه .

أما اقتداء الصحابة بالنبي ﷺ فأشهر من أن يدلل عليه حتى وصل الأمر بابن عمر أن كان يتحرى المكان الذي بال فيه النبي ﷺ فيبول فيه ، وتقدم في حيثنا عن جمع القرآن استعظام أبي بكر وزيد فعل شيء لم يفعله رسول الله ﷺ .

تعديل الله عز وجل لهم :

ثبت تعديل الله عز وجل للصحابة في أكثر من موضع في كتابه قال تعال (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا سماهم في وجوههم من أثر السجود ...) الآيات

وقال : (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات ..)

وقال (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة)

وقال (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة)

وقال : (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وقال (وكذلك جعلناكم أمة وسطا)وغير ذلك

تعديل رسول الله لهم .

أما تعديل رسول الله ﷺ للصحاة فثبت في غير حديث منها

قوله ﷺ لهم : أنتم شهداء الله في الأرض

وقوله : اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار

وقوله : آية الإيمان حب الأنصار وآية

بغض الأنصار

وقوله : الأنصار شعار والناس دثار الأنصار كرشي وعيبتي لو سلمك الأنصار شعبا وسلك الناس شعبا لسلكت شعب الأنصار ، ولوا الهجرة لاخترت أن أكون من الأنصار

وقوله ﷺ: "لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه" .

وفي الصحيحين وغيرهما قوله ﷺ : "خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم " وتقدم حديث الغزو

ورى مسلم عن أبي موسى الأشعري قوله ﷺ : النجوم أمنة السماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد ، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون .

واشتهر حديث أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم ولا يصح.

تعديل بعضهم بعضا :

وأما تعديل بعضهم لبعض فهو كثير ومن ذلك وقول ابن مسعود في الصحابة ككل . ما رأوه حسنا فهو عندالله حسن

وقول عمر : أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا

ومع شرف وفضل عمر بن عبدالعزيز قال بعض أهل العلم : ليوم شهده معاوية رضي الله عنه مع رسول الله ﷺخير من عمر بن عبدالعزيز وأهل بيته . وذلك لعظم فضل صحبة رسول الله ﷺ

وقد صنف في فضل ومناقب الصحابة أهل العلم ضمن كتبهم مثل البخاري حيث عقد بابا في مناقب الأنصار ، وصنف بعضهم كتبا مستقلة مثل فضائل الصحابة للإمام أحمد

وأفضل الصحابة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي هذا ما دلت عليه الروايات عن المهاجرين والأنصار وذهب بعض أهلم العلم إلى تقديم علي على عثمان وهو قول ضعيف وقال الدارقطني : من قدم عليا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار

ومن فضلييات نساء الصحابة : أزواج النبي ﷺوبناته وأم سليم وأم حرام وأم عمارة وأم الدرداء الكبرة وغيرهن.

طبقات الصحابة :

المشهور أنهم اثنتا عشرة طبقة:

1- من أسلم قديما بمكة

2- من أسلم بعد إسلام عمر بن الخطاب

3- مهاجرة الحبشة

4- أصحاب العقبة الأولى

5- أصحاب العقبة الثانية

6- المهاجرون قبل دخول النبي ﷺ المدينة

7- أهل بدر

8- من هاجر بعد بردر

9- أهل بيعة الرضوان

10- من هاجر بعد الحديبية

11- مسلمة الفتح

12- الصبيان والأطفال الذين رأوا النبي ص يوم الفتح وهي حجة الوداع

عددهم كثير جدا أوصله بعضهم إلى 114 ألفا

أكثرهم رواية : أبو هريرة ثم عائشة ثم أنس ثم ابن عباس ثم ابن عمر ثم جابر ثم أبو سعيد الخدري ثم ابن مسعود ثم عبدالله بن عمرو بن العاص

آخر من مات من الصحابة

آخرهم مطلقا هو عامر بن واثلة أبو الطفيل وقيل : أنس بن مالك والأول أقوى

ومن أهل العلم من يفصل حسب البلدان فيقول : آخر من مات بمكة ابن عمر وبالمدينة جابر وبالبصرة أنس وهكذا وفي الجزم بذلك اختلاف

أشهر الكتب المصنفة في معرفة الصحابة:

صنف في ذلك جماعة من أهل العلم منهم من أفردهم بباب مستقل ضمن كتاب كالحاكم في مستدركه ومنهم من أفرده بمصنف وهو كثير مثل: معجم الصحابة لابن قانع طبع حديثا ومعرفة الصحابة للبغوي ولابن منده غير مطبوعين ولأبي نعيم طبع منه جزء وأقوم بإكمال تحقيقه والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير والإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر وتجريد أسماء الصحابة للذهبي وكلها مطبوعة

وفائدة معرفة الصحابة عظيمة لأن بها يتميز الحديث المتصل من الحديث المرسل قال الحاكم : ومن تبحر في معرفة الصحابة فهو حافظ كامل الحفظ فقد رأيت جمن مشايخنا يروون الحديث المرسل عن تابعي عن رسول الله ﷺ يتوهمونه صحابيا وربما رووا المسند عن صحابي فيتوهمونه تابعيا .

التعريف بالتابعين :

التابعي هو من لقي الصحابي وروى عنه . قال ابن كثير : لم يكتفوا بمجرد رؤيته الصحابي كما اكتفوا في إطلاق اسم الصحابي على من رآه عليه السلام والفرق: عظمة وشرف رؤيته عليه السلام

والذي أراه اعتبار الرؤية لأن حديث الغزو السابق في اعتبار رؤية النبي ﷺقد اعتبرت فيه رؤية الصحابي أيضا . فيدخل في تعريف التابعي من رأى الصحابي

طبقات التابعين :

جعلها الحاكم في علوم الحديث خمس عشرة طبقة وأولهم من لحق العشرة المبشرين ثم طبقة مسروق والأسود بن يزيد ونحوهما ثم طبقة الشعبي ومن قاربه . وآخر طبقة من لقي أنسا من أهل البصرة ونحوه ممن لقي آخر الصحابة موتافي البلدان المختلفة

ومن التابعين من هو من المخضرمين يعني أدرك الجاهلية والإسلام ولم تكتب لهم الصحبة مثل أبي عثمان النهدي وأبي رجاء المطاردي وعمرو بن ميمون.

ومن التابعين من ولد في عهد النبي ﷺولم تثبت له رؤية ، مثل يوسف بن عبدالله بن سلام

وقسمهم ابن سعد في كتابه الطبقات غير هذا التقسي ، وهي مسألة وجهات نظر ومعرفة التابعين هامة لأن من غفل عنها لم يفرقبين الصحابة والتابعين ولم يفرق أيضا بين التابعين وأتباع التابعين.

فضل التابعين واقتداؤهم برسول الله ﷺ:

قال تعالى : (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه) فذكر الله جل في علاه التابعين بإحسان بالذكر الحسن وقال ﷺكما تقدم : خير القرون قرني ثم الذين يلونهم

ومن في حديث اعتبار الرؤية فضل التابعين حيث يفتح للناس لمجرد وجود تابعي فيهم وهم تلاميذ الصحابة الذين نهلوا من علمهم ، واقتداؤهم بالنبي ﷺمشهور معروف لهم وقد أفاض في ذكر مواقفهم في ذلك أبو نعيم في كتابه حلية الأولياء وكان الزهري رحمه الله يقول : من الله الرسالة وعلى الرسول ﷺالبلاغ وعلينا التسليم

وأفضل التابعين سعيد بن المسيلب وقبل الحسن البصري وقيل غير ذلك والذي ثبت في الحديث المرفوع أنه أويس القرني .

ومن سادات التابعين الفقهاء السبعة وهم ابن المسيب والقاسم وعروة وسليمان بن يسار وخارجة بن زيد وعبيد الله بن عبدالله بن عتبة والسابع بن سالم بن عبدالله بن عمر وقيل غيره.

ومنهم ابن سيرين وطاووس وعلقمة وغيرهم من العلماء

ومن سيدات نسائهم : حفصة بنت سيرين ، وعمرة بنت عبدالرحمن ، وأم الدرداء الصغرى

احتياط الصحابة والتابعين في رواية الحديث :

كان ابن مسعود إذا روى عن رسول الله ﷺارتعد وقال : أو نحوا من ذا أو قريبا من ذا أو فوق ذا أو دون ذا .

وكان أنس إذا حدث عن رسول الله ﷺيتبع حديثه بقوله : أو كما قال . حذرا من الوهم أو عدم ضبط اللفظ عن رسول الله ﷺ.

وعن عبدالله بن الزبير أنه قال لأبيه : إني لا أسمعك تحدث عن رسول الله ﷺكما يحدث فلان وفلان فقال : أما إني لم أفارقه ولكن سمعته يقول : من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار

وعن زيد بن أرقم أنه كان يقال له حدثنا فيقول : كبرنا ونسينا والحديث عن رسول الله ﷺشديد.

وكان القاسم بن عبيدالله يسأل فلا يجيب فقيل له : إنه قبيح على مثلك فيقول : أقبح من ذلك أن أقول بغير علم أو آخذ عن غير ثقة

وروي نحوه عن ابن عمر

ومكان سليمان التيمي إذا حدث بالحديث عن النبي ﷺتغير وجهه

وكان من الصحابة والتابعين من هو مقل جدا في الرواية مع توافر دواعيها من طول صحبة ونحو ذلك ولم يكثر إلا أهل الحفظ منهم ومن كان ذا كتاب أو صاحب خاصية مثل أبي هريرة

تثبت الصحابة والتابعين في قبول الحديث

والتزم الصحابة والتابعوهنن بالتثبت في قبول الحديث فعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺأنه قال : سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونك ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم

رواه مسلم

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: "كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع" . رواه مسلم

وقال عبدالله بن عمرو : إن الشيطان ليتمثل في صورة الرجل فيأتي القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب فيتفرقون الرجل منهم سمعت رجلا أعرف وجهه ولا أدري ما اسمه يحدث

وجاء رجل إلى ابن عباس فجعل يحدثه عن رسول الله ﷺ فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه فقال : يا ابن عباس ما لي لا أراك تسمع لحديثي أحدثك عن رسول الله ﷺولا تسمع ؟ فقال ابن عباس: إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلا يقول قال رسول الله ﷺابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بآذاننا فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف

قال ابن سيرين : إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم . وقال طاووس : إن كان صاحبك مليا فخذ عنه

وقال : أبو الزناد : أدركت بالمدينة مائة كلهم مأمونون ما يؤخذ عنهم الحديث يقال : ليس من أهله

وقال أبو العالية : كنت أرحل إلى الرجل مسرة أيام لأسمع منه فأول ما أفتقد منه صلاته فإن أجده يقيمها أقمت وسمعت منه وإن أجده يضيعها رجعت ولم أسمع نمنه وقلت : هو لغير الصلاة أضيع

ومن شدة تثبت الصحابة في قبول الحديث طلب أبي بكر الصديق راويا آخر غير المغيرة لحديث ميراث الجدة ، وطلب عمر البينة من أبي موسى في حديث الاستئذان ، واستحلاف علي لمن يحدثه بالحديث ، ولكن ليس ذلك منهم على سبيل الشرط وإنما من باب الاحتياط ، ويبدو أنه فيما يستغربونه من أحاديث لثبوت قبولهم جل الأحاديث بدون ذلك .

وقد كان المكثرون من الحديث ممسكين عن الإكثار من التحديث في صدر عصر الصحابة لانشغالهم بتحصيل الحديث وسماعة أكثر من نشره ، وكذلك خطة عمر رضي الله عنه في حمل الناس على الاهتمام بالقرآن الكريم والتثبت الشديد في الحديث عن رسول الله ﷺ. وقد قيل لأبي هريرة : أكنت تحدث في زمن عمر هكذا ؟ قال : لو كنت أحدث في زمن عمر مثل ما أحدثكم لضربني بالدرة

وأما بعد انقضاء عصر عمر رضي الله عنه ونظرا لكثرة الفتوح وتفرق الصحابة في الأمصار ، زاد انتشار الحديث انتشارا ملحوظا ونشطت الرحلة كما تقدم ، وساعد على انتشار الحديث في تلك الآونة بداية تدوين الحديث بصورة أوسع ، وهذا ما يأتي الحديث عنه

تدوين السنة النبوية:

كانت الكتابة قبل عصر النبوة معروفة في العرب ولكن لم يكن لها الانتشار الواسع حتى أفرط بعض أهل العلم فوصفها بالندرة والذي يثبته البحث العلمي عدم صحة ذلك .

وقد ساعد على عدم انتشار الكتابة في العرب اعتمادهم على الحفظ ، وغلبة الأمية عليهم ، كما قال رسول الله ﷺ: نحن أمة أمية لا نقرأ ولا نكتب . وقال سبحانه : هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم

وقد جاءت بعض الروايات التي تشير إلى مجيء الإسلام وفي قريش سبعة عشر كاتبا ، وفي المدينة عدة رجال يكتبون ذكر منهم أحد عشر كاتبا وقد ساعد على ذلك وجود اليهود بينهم

وثبت أن ورقة بن نوفل كان يعرف الكتابة العربية والعبرانية

ولما قاطعت قريش النبي ﷺ وحصرته في الشعب كتبوا بذلك كتابا

وأما في العصر النبوي فقد أخذت الكتابة وضعا جديدا فكان النبي ﷺحريصا على كتابة الوحي واتخذ له كتابا كثيرين وسبق الحديث عن ذلك في المدخل للقرآن وعلومه

وحث النبي ﷺعلى تعليم الكتابة من ذلك أمره ﷺللشفاء رضي الله عنها أن تعلم حفصة الكتابة كما علمتها الرقية . وما روي عنه ﷺمن جعل فداء من ليس له مال من أسارى بدر أن يعلم أبناء المسلمين الكتابة . وكذا طلب النبي ﷺمن زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب اليهود لأنه لا يأكنهم .

وثبتت الكتابة في نزول قوله تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) وأرسل بها عمر لمن كان بمكة ، وفي قصة حاطب بن أبي بلتعة حيث أرسل الكتاب إلى قريش ، كما ثبتت الكتابة في مراسلة النبي ﷺللملوك ، وكتابته للوفود الذين وفدوا عليه ، وغير ذلك كثير

تدوين الحديث النبوي :

أما تدوين الحديث فقد مر بمرحلتين

المرحلة الأولى : صنع النبي ﷺ من كتابته حيث قال : "لا تكتبوا عني شيئا سوى القرآن ومن كتب عني غير القرآن فليمحه" . أخرجه مسلم وغيره عن أبي سعيد

ورويت كراهة كتابة الحديث عن عمر وابن مسعود وزيد بن ثابت وغيرهم

وهذا النهي الوارد في حديث أبي سعيد كان حفاظا على القرآن ألا يختلط بغيره أو يشتغل بالحديث عنه مع الاحتياج الشديد لحفظه والتركيز عليه ، بالإضافة لقلة الخبرة بالكتابة وقلة الكتبة ، فلما أمن ذلك نسخ هذا الحكم وكانت المرحلة الثانية

المرحلة الثانية : الإذن والسماح في الكتابة ويدل عليه قول ﷺيوم الفتح : اكتبوا لأبي شاة . رواه البخاري ومسلم

وروي أبو داود والحاكم وغيرهما عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه قال : يارسول الله إني أسمع منك الشيء فأكتبه ؟ قال : نعم . قال : في الغضب والرضا ؟ قال : نعم ، فإني لا أقول فيهما إلا حقا

وهم النبي ﷺفي مرضه الذي توفي فيه أن يكتب للصحابة كتابا لا يضلوا بعده أبدا

وروى البخاري عن أبي هريرة قال : ليس أحد من أصحاب رسول الله ﷺأكثر حديث مني إلا ما كان من عبدالله بن عمرو فإنه كان تيكتب ولا أكتب

وريت إباحة الكتبابة أو فعلها عن علي والحسن وأنس وغيرهم

وإنما يرجع النهي أولا : إلى الحفاظ على كتاب الله ألا يختلط به غيره ، لأنه كلام معجز ، ونظم عجيب ، وهو متعبد بتلاوته ، وله خواص كثيرة ليست في غيره ، فهو كلام الله سبحانه وتعالى . وأما كلام النبي ﷺ ، فهو وإن كان معناه موحى من عندالله إلا أن اللفظ لفظ بشر ، وليس فيه إعجاز ، ولا تعبد بتلاوته ، فلو ذهب لفظه فلن يذهب معناه من صدور الصحابة رضي الله عنهم ، فإن العهد قريب . ثم رخص النبي ص في الكتابة بعدما أمن اختلاط القرآن بغيره ، وفي هذا سر عجيب، لأنه لو لم يرخص فيها لأعرض المسلمون في سارئر الأزمنة عن كتابة الحديث . ففقد كثير منه وأضيف فيه ما ليس منه

وقد حكى أهل العلم انعقاد الإجماع مؤخرا على تسويغ كتابة الحديث وانتشر الخلاف في ذلك

ومن المدونات التي اشتهرت في العهد النبوي

وثيقة المدينة المنورة التي كتبها النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار وبين المسلمين واليهود

الكتب التي كتبها النبي ﷺ للملوك

صحيفة النبي ﷺ لعمرو بن حزم لأهل اليمن

الصحيفة التي كانت مع علي بن أبي طالب وفيها أحاديث للنبي ﷺ

التدوين الرسمي للسنة:

وأما التدوين الرسمي للسنة فبدأت فكرته في عهد عمر رضي الله عنه فروي عن عروة بن الزبير أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن فاستشار في ذلك أصحاب رسول الله

ﷺ فأشاروا عليه أن يكتبها فطفق عمر يستخير الله فيها شهرا ثم أصبح يوما وقد عزم الله له فقال : إنني كنت أردت أن أكتب السنن وإني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا فاكبوا عليها وتركوا كتاب الله ، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبدا .

وكان ذلك عن عمر خشية مما ذكر حيث كان الوضع العام للمسلمين يؤيد ماذهب إليه من دخول الناس في دين الله أفواجا من شتى الأجناس

العوامل التي أدت إلى قلة التدوين في الصحدر الأول :

1- النهي عنه في بداية الأمر لئلا يشتغل بها عن القرآن أو يضاهي بها أو يخلط به غيره
2- سعة الحفظ وسيلان الذهن ، وخوفا من الاتكال على الكتابة فيق الحفظ بل يبطل
3- أكثرهم لم يكن يعرف الكتابة
4- قرب العهد وقلة الاختلافات
5- تقارب الإسناد والنتمكن من مراجعة الراوي الثقة
6- غلبة الصدق والأمانة

ولما بدأ الخوف على السنة من ظهور الأهواء ودخول الكذب على الناس وطاللت الأسانيد وانتشرت الروايات ، أضحى تدوين السنة من الضرورة بمكان وتكاد تجمع الروايات أن أول من فكر بالجمع والتدوين من التابعين عمر بن عبدالعزيز إذ أرسل إلى أبي بكر بن حزم وقال له :

انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺوآله وسلم فاكتبه فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء وطلب منه أن يكتب له ما عند عمرة بنت عبدالرحمن والقاسم بن محمد بن أبي بكر

وجاءت الروايات تدل على تعميم عمر بن عبدالعزيز ذلك وأنه كتب إلى أهل الآفاق :

انظروا إلى حديث رسول الله ﷺفاجمعوه

ثم كان الزهري أشهر من دون الحديث في ذلك العصر ، واشتهر من المدونات أيضا في تلك الآنة صحيفة همام بن منبه عن أبي هريرة ، واستمر التدوين بعد ذلك فكان من مشاهير المدونين ابن جريج ألف السنن وابن إسحاق ألف المغازي والسنن ومالك بن أنس ألف الموطأ والثوري ألف التفسير وابن المبارك ألف الزهد والرقائق والأربعين في الجهاد ومعمر بن راشد ألف المغازي

ولما جاء القرن الثالث بدأ التدوين يأخذ وضعا جديدا ، وأصبح هذا القرن هو عصر ازدهاره فاشتهرت المصنفات وانتشرت وبطرائق متعددة فمن ذلك :

المسانيد وهي كتب تجمع أحاديث كل صحابي على حدة مثل مسند مسدد بن مسرهد ومسند إسحاق بن راهويه ومسند ابن أبي شيبة ومسند عبد بن حميد ومسند أبي يعلى وغيرها وأشهرها مسند الإمام أحمد بن حنبل

المصنفات وهي كتب تجمع بين الأحاديث المرفوعة والآثار الواردة عن الصحابة والتابعين واشتهر منها مصنف عبدالرزاق بن همام ومصنف ابن أبي شيبة

السنن والصحاح وهي كتب تجمع الأحاديث حسب الأبواب الفقهية والفنون وأشهرها الكتب الستة وفي الصحيحان صحيح البخاري وصحيح مسلم والسنن الأربعة سنن الترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه . ومنها أيضا سنن الدارمي

وكذا اشتهرت الأجزاء الحديثية والفوائد وهي كتب تجمع أحاديث تتفق في أمر ما إما من جهة موضوعها مثل جزء إكرام الضيف لأبي إسحاق الحربي أو جزء تقبيل اليد لابن زادان أو من جهة الإسناد مثل جزء وكيع عن الأعمش وجزء الليث بن سعد وغيره.

واشتهر من القرن الرباع الإمام الطبراني الذي ألف المعجم الكبير على طريقة المسانيد، وألف المعجم الأوسط جمع فيه أحاديث شيوخه كل على حدة ، ثم المعجم الصغير الذي ذكر فيه حديثا واحدا عن كل شيخ من شيوخه . واشتهر تلميذه أبو نعيم صاحب حلية الأولياء ودلائل النبوة وغيرهما .

وكذا الإمام الدارقطني الذي ألف السنن وابن حبان الذي ألف الصحيح

وفي القرن الخامس اشتهر الحاكم النيسابوري الذي استدرك على البخاري ومسلم أحاديث رأى أنها على شرطهما ولم يخرجاها في ككتابه المستدرك على الصحيحين ، وكذا تلميذه البيهقي الذي ألف السنن الكبرى ودلائل النبوة وغير ذلك.

الفرق بين علم الحديث رواية وعلم الحديث دراية :

ينقسم علم الحديث من حيث تعريفه إلى قسمين :

علم الحديث المختص بالرواية : وهو علم يشتمل على أقوال النبي ﷺوأفعاله وروايتها وضبطها وتحرير ألفاظها

علم الحديث المختص بالدراية : وهو علم يعرف منه حقيقة الرواية وشروطها وأنواعها وأحكامها وحال الرواة وشروطهم وأصناف المرويات وما يتعلق بها .

وحقيقة الرواية : نقل السنة ونحوها وإسناد ذلك إلى من عزي إليه بتحديث أو إخبار أو نحو ذلك .

وشروطها : تحمل راويها لما يرويه بنوع من أنواع التحمل من سماع أو عرض أو إجازة ونحوها .

وأنواعها : الاتصال والانقطاع ونحوهما .

وأحكامها : القبول والرد

وحال الرواة : العدالة والجرح

وشروطهم : في التحمل وفي الأداء

وأصناف المرويات : المصنفات من مسانيد ومعاجم وغيرها

وما يتعلق بها : هو معرفة اصطلاح أهلها

وهذا العلم أبوابه كثيرة وأول من صنف في هذا الفن : الرامهرمزي كتابه المحدث الفاصل بنين الراوي والواعي . ثم الحاكم النيسابوري كتابه معرفة علوم الحديث ثم الخطيب البغدادي كتاب الكفاية في علم الرواية وصنف في كثير من فنونه لكل فن كتابا

مستقلا.

ألقاب المحدثينن العلمية :

المسند : بكسر النون هو من يروي الحديث بإسناده

المحدث : أعلى درجة من المسند وهو من عرف الأسانيد والعل وأسماء الرجال والعالي والنازل وحفظ مع ذلك جملة مستكثرة من المتون وسمع الكتب الستة ومسند أحمد وسنن البيهقي ومعجم الطبراني وألف جزء حديثي .

الحافظ: أعلى درجة من المحدث وهو من كان ما يعرفه من الرجال وتراجمهم وأحوالهم وبلدانهم أكثر من الذين لا يعرفهم ، ومقدار حفظه من الحديث ما يقارب خمسمائة ألف حديث .

بعض مصطلحات المحدثين :

المتن: هو لفظ الرواية

السند: هو الإخبار عن طريقق المتن

الحديث: هو قول النبي ﷺأو الصحابي أو التابعي وفعلهم وتقريرهم

الخبر وكذا الأثر: بمعنى الحديث

وبعض أهل العلم يخص الحديث بما جاء عن النبي ﷺوالخبر والأثر ماجاء عن غيره

الحديث الصحيح : هو ما اتصل إسناده بنقل العدل الضبط عن العدل الضابط إلى منتهاه ولا يكون شاذا ولا معللا

العدل: هو من فعل الأوامر واجتنب النواهي

الضباط : هو الحافظ لما يرويه سواء في صدره أو في كتابه

الشذوذ : هو مخالفة الثقة لمن هو أوثق منه

العلة : سبب خفي قادح في الحديث مع أن الظاهر السلامة منه

الحديث الحسن : هو ما رواه العدل الذي خف ضبطه بنفس شروط الصحيح

الحديث الضعيف: هو ما لم يستوف شروط الصحة ولا لاحسن . وأقسامه كثيرة ، والحديث الموضوع وهو رواية الكذابين يعتبر قسما منه . وصنف أهل العلم كتبا للتحذير من الحيديث الضعيف والموضوع ومن ذلك كتاب الموشوعات لابن الجوزي وكتاب تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث للشيباني وكتاب سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني

الحديث المرفوع : ما نسب للنبي ﷺ

الموقوف : ما نسب لصحابي

المقطوع : ما نسب للتابعي

المعلق : ما حذف من بداية إسناده واحد أو أكثر

المرسل : ما رواه التابعي عن رسول الله ﷺولم يذكر الواسطة

المنقطع : ما سقط من إسناده راو

المعضل : ما سقط من إسناده راسويان فأكثر

التدليس : هو أن يروي عمن عاصره ما لم يسمع منه موهما أنه سمع منه . وله أنواع أخرى .

علم الجرح والتعديل : علم يبحث عن أحوال الرواة وأمنتهم وثقتهم وعدالتهم وضبطهم أو عكس ذلك

ومن الكتب المصنفة فيه وهي كثيرة جدا : الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ، المجروحون لابن حبان تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي ، ميزان الاعتدال للذهبي ، تهذيب التهذيب لابن حجر.

بعض مراجع البحث التي لم تذكر أثناءه :

تقييد العلم للخطيب البغدادي

الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي

الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير

رسم المصحف لغانم قدوري الحمد

السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي د. مصطفى السباعي

منزلة السنة في الإسلام وبيان أنه لا يستغنى عنها بالقرآن للألباني

منزلة السنة في التشريع الإسلامي لمحمد أمان الجامي

مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة للسيوطي

نخبة الفكر لابن حجر وشرحها

الحديث والمحدثون أنو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبيوة لمحمد أو زهو

ثالثا : المدخل إلى علم العقيدة

تعريف علم العقيدة :

العقيدة والاعتقاد مصدر اعتقد يقال : اعتقد كذا إذا اتخذه عقيدة له بمعنى عقد عليه الضمير والقلب وهو يطلق على التصميم والتصديق المطلق

. ويقال : عقد الحبل والبيع والعهد : شده.

فعلم العقيدة : هو علم يبحث في ذات الله تعالى وذوات الرسل والأمور الغيبية . ويدل عليه حديث جبريل عليه السلام في أركان الإيمان

والعقيدة الإسلامية : هي تصميم القلب والاعتقاد الجحازم الذي لا يخالطه شك في المطالب الإلهية والنبوات وأمور المعاد وغيرها مما يجب الإيمان به .

وقد ألف فيه أهل العلم بهذا الاسم ومن ذلك العقيدة الطحاوية للطحاوي، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي والعقيدة الواسطية لابن تيمية .

الأدلة التي يقوم عليها علم العقيدة عند أهل السنة والجماعة :

من أصول أهل السنة والجماعة أن العقل المجرد ليس له إثبات شيء من العقائد والأحكام وإنما مرجع ذلك إلى السمع الذي هو منقول عن الله تعالى ورسوله ﷺ، وإنما دور القل الفهم.

وهم يقولون بالأدلة الكونية ودلالات العقل لايمانعون في ذلك بشرط عدم التعارض مع ما تقدم .

وهم يؤمنون بكل ما جاء في الكتاب والسنة ويثبتون مافيهما من صفات لله كما يليق به من غير تأويل ولاتعطيل ولا تشبيه ولاتمثيل ولاتكييف ولاتحريف، ويتبعون فهم الصححابة رضي الله عنهم لاختصاصهم بماشرة الوحي ولفضلهم ولما أوتوه من سليقة عربية ولأنهم المخاطبون أصلا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

أن طريقة السلف في العقائد والأحكام أحسن الطرق وهي الأعلم والأحكم والأسلم وليس فيها شيء من البدع .

طريقة السلف هي إطلاق ما أطلقه الكتاب والسنة من الألفاظ وليس ابتداع ألفاظ لم ترد فيهما وإنما هذه طريقة المبتدعة.

عدم مجالسة أهل البدع ومجادلتهم

الحرص على جماعة المسلمين ووحدة كلمتهم

تسميات علم العقيدة :

يسمى علم التوحيد : لأنه يتضممن توحيد الله عزوجل وهو أساسه وقد صنف أهل العلم فيه بهذا المسمى ومنهم ابن خزيمة في كتابه التوحيد وإثبات صفات الرب

والتوحيد في الحقيقة جزء من العقيدة ولذا أفرده بعض أهل العلم عن سائر ال كتاب التوحيد لمحمد بن عبدالوهاب وهو فيه ضد الشرك .

ويسمى علم أصول الدين لأنه كما تقدم يبحث فيها وعليه مبنى الفروع

ويسمى السنة لأنه يقابل البدة فهو النجاة من البدع والأهواء وقد صنف أهل العلم فيه بهذا الاسم وكثر في كتبهم مثل السنة للإمام أحمد ولابنه عبدالله والسنة لابن نصر المروزي والسنة لابن أبي عاصم والسنة للبربهاري وشرح السنة لابن أبي زمنين وغيرهم .

ويسمى الإيمان لأن الإيمان هو أساس العقيدة وممن صنف فيه بهذا الاسم ابن منده ويسمى الفقه الأكبر للتفرقة بينه وبين فقه الفروع وقد جاءت تلك التسمية عن أبي حنيفة رحمه الله .

ويسمى الإلهيات لأنه يتعلق بالذات الإلهية في جملته وهي تسمية حادثة .

ويسمى علم الكلام : وهذا التسمية ليست ممن ينتسبون لأهل السنة والجماعة وإنما كانت تلك التسمية مرادفة لعلم التوحيد عند الأشعرة (أتباع أبي الحسن الأشعري) والماتريدية (أتباع أبي منصور الماتريدي) ونحوهم من الفرق التي ادعت أن الإيمان لايثبت إلا عن طريق العقل وافترقوا فمنهم من اعتبر المؤمن عاصيا إن لم يعرف دليلا عقليا على وجود الله ، لأن الأدلة العقلية عندهم هي البراهين القطعية وأما أدلة الكتاب والسنة فهي ظنية ، ومنهم من لايرى صحة الإيمان حتى يتجرد منه ثم يصل إليه بعد البحث والاستدلال وهؤلاء هم الفلاسفة.

وكانت نشأة علم الكلام بصورة واضحة في العصر العباسي حيث برز الجدل واتخذ ألوانا لم تكن في أهل الصدر الأول بسبب الثقافات التي نشأت عن دخول أعداد كبيرة من العجم في

الإسلام وترجمة كثير من كتبهم ، بالإضافة لبعد العهد عن الصدر الأول ، مع الترف المعيشي الذي فرغ الناس للمسائل الجدلية .

وتسمية علم التوحيد الذي هو أشرف العلوم بعلم الكلام من أظلم الظلم لأن علم التوحيد مصدره الوحي وعلم الكلام مصدره الجدل المذموم فأين هذا من هذا ؟ ويكفي في ذلك اعتراعفهم أنفسهم بأن واضع علم الكلام أبو الحسن الأشعري أو أبو منصور الماتريدي

وقد قال الإمام مالك في نشأة علم الجدل : أو لكما جاءنا رجل الجدل من رجل تركنا ما جداء به جبريل إلى محمد ﷺ لجدل هؤلاء ؟

وقد ثبت ذم علم الكلام والتنفير منه عن علماء السلف ومن ذلك قول الشافعي : لأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه سوى الشرك خير له من الكلام ولقد اطلعت من أصحاب الكلام على شيؤء ماظننت أن مسلما يقول ذلك .

ومن كلامهم الخبيث قولهم : طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم

وقد أعلن جماعة من أهل العلم ممن خاضوا في علم الكلام توبتهم منه وعد استفادتهم من الخوض فيه إلا الشكوك والأوهام ومن هؤلاء الإمام الجويني حيث يقول :

يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ماشتغلت به . وقال عند موته : وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي .

والإمام الرازي في قوله :

نهاية إقدام العقول عقال وغاية سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذى وبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وقال : لقد تأملت الطرق الكلامية والمفاهيم الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن

أهمية هذا العلم :

هو أهم العلوم على الإطلاق لا، العقيدة هي الأصل الذي يقوم عليه فروع الدين ، وبها يدفع المسلم عنه وساوس الشيطان وشكوكه ، وعليها يتوقف قبول الأعمال وعدم قبولها ، فمن فسد اعتقاده حبط عمله قال تعاى (لئن أشركت ليحبطن عملك) وبها يتميز أهل الجنة من أهل النار قال تعالى (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله الجنة ومأواه النار) وقال (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)

حكم معرفة هذا العلم للعامي والختص :

اتفق العلماء على فرضية هذا العلم على كل مسلم ومسلمة كل حسب استطاعته وقدرة استيعابه ، فلاريب أنه يجب على كل أحد الإسمان بما جاء به الرسول ﷺإيمانا عاما مجملا ، ولا ريب أن ما جاء عنه ﷺ بالتفصيل فرض على الكفاية .

فأصل العقيدة معرفته فرض عين بل هو أساس الدين وعلم ذلك من أوجب العلوم وأشرفها ، وأما التوسع في مسائلها والتضلع فيها ومعرفة الفرق وشبهاتها والرد عليها فهو فرض كفاية .

الإيمان :

الإيمان هو مصدر العواطف النبيلة ومغرس المشاعر الطيبة وهو روح الإسلام ويفقده يفقد رونقه وجماله .

والإيمان قول باللسلان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأرطكان هذا هو مذهب السلف الصالح .

قال تعالى : (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم)

وقال تعالى: (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ...) الآية

وسمى الله الصلاة إيمانا فقال (وما كان الله ليضيع إيمانكم)

وقال ﷺلوفد عبدالقيس لما سألوه عن الإيمان : شهادة أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن تؤدوا الخمس من المغن .

وقال النبي ﷺ: الحياء من الإيمان

وهو يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية قال تعالى : (فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون) وقال ﷺ: ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن .

ومن ثمار الإيمان :

تحرر النفس من الخضوع لغير الله

يبعث في النفس روح الشجاعة واحتقار الموت

يقذف في القلب الطمأنينة والسكينة

الاطمئنان على الرزق وبالتالي الإجمال ففي طلبه

الحياة الطيبة في الدنيا قبل الآخرة

أركان الإيمان :

أركان الإيمان ستة بينها حديث جبريل عندما جاء إلى النبي ﷺ في صورة أعرابي وسأله عن الإسلام ثم عن الإيمان فقال له : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

وهذه الأركان على المسلم أن يؤمن بها على سبيل الإجمال وعلى القدر الذي يسطيعه من التفصيل .

أولا : الإيمان بالله :

ويثمر في الإسنان مراقبة الله عز وجل ويوقظ فيه حواس الخير ويجذبه محقرات الأعمال

الدلائل على وجود الله :

دلائل فطرية وعقلية :

قا تعالى : (قل انظروا ما ذا في السماوات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) وقال (إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب) وقد ثبت عن النبي ﷺأنه قال لما نزلت : لقد أنزلت علي آية ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها .

وقال سبحانه : (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) فقال : (وفي أنفسكم أفلا تبصرون)

وغير ذلك من الآيات . وقال الشاعر :

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

وقال الأعرابي : البعرة تدل على البعير ، والأثر يدل على المسير ، أسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ألا تدل على اللطيف الخبير

ومن الدلائل البديهية على وجود الله عز وجل اسم الله الذي لا تخلو منه لغة ، فالأسماء لا توضع إلا لموجودات ، ولا يتصور وجود ايسم لمعدوم فكيف واسمه جل شأنه أشهر الأسماء وأعرفها عند الخلائق على مدى الأزمان .

وليس العجز عن إدراك حقيقة الأشياء دليلا على عدوم وجدها ، فكم من أمور في حياتنا لا ندرك حقيقتها أو لا ندركها حواسنا ولكنا نؤمن بها لوجود ما يدل عليها .

كما أن هناك أمورا تكون أعظم من قدراتنا العقلبية في وقت من العمر ثم نستطيع تفهمها وإدراك معانيها عندما تنضج أفهمامنا أو تتقدم علومنا ، وهذا كثير جدا ومعلوم بدهيا .

وقد حصر الله عزوجل أمر الخليقة في ثلاثة فروض لا رابع لها فذكر فرضين وسكن عن الثالث ليحصل الجواب به عن طريق الحصر فقال سبحانه (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) والجواب أن كلا الأمرين مستحيل لأن وجود الششيء بغير موجد لايعرف في شيء من المخلوقات التي حولنا ولا يمكن تصوره فيها ، بخلاف الخالق فنحن لا نحيط به علما ولا يمكن قياسه على المخلوقات ولا بد من وجوده بغير موجد وإلا لزم التسلسل وقد دل رسول الله ﷺ أبا هريرة رضي الله عنه على صرف الشيطان إذا جاء المسلم فقال له : هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله ؟ والاستعاذة منه والاعتصام بقول السلم : آمنت بالله .

ولأنه لا يوجد أحد من الخلوقين يدعي أنه الخالق فبقي الأمر الثالث وهو أنه لا بد للخلق من خالق .

ومن الدلائل العقلية على إثبات صفات الحياة والقدرة والإرادة والعلم وغيرها من الصفات لله جل وعلا قولهم : إن فاقد الشيئ لا يعطيه . والمراد أن الله عز وجل وهب بعض مخلوقاته تلك الصفات فلأن يكون سبحانه متصفا بها من باب أولى .

والفطرة توجه الإنسان إلى الله ، فحتى أعتى المشركين كانوا في وقت الأزمات والشدائد يخلصون اللجوء لله ، وهذا مشاهد ملموس لدرجة أن اللص وهو يمارس سرقته يتأمل في الله أن ينجيه بل ويدعوه بذلك .

قال تعالى : (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه)

وقد اهتمت عدة كتب محدثة بتقرير تلك الأمور وما شابهها نذكر منها

الله يتجلى في عصر العلم لجماعة من الأمريكان

الطب محراب الإيمان للدكتور خاص حلبي

الله جل جلاله لسعيد حوى

العقائد الإسلامية لسيد سابق

تبسيط العقائد الإسلامية لحسن أيوب

ويحذر مما قد يوجد في بعضها من مخالفة لمنهج السلف في بعض المواضع

الدلائل السمعية (السمعيات وتطلق أيضا على ما يثبت بالدلائل السمعية) :

وهي دلائل الكتاب والسنة لأنها تعتمد على السمع لا العقل وإن أمكن إثبات وجود الله والتعرف على بعض صفاته جل شأنه عن طريق افطرة والعقل فلايمكن معرفة الله معرفة شاملة وصحيحة إلا عن طريقهما ، وقد ذكر أهل العلم أن ثلث القرآن يتحدث عن الله وصفاته ولذا كانت سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن لما اشتملت عليه من وصف لله سبحانه . وقد ثبت في الحديث أن المشركين لما سألوا النبي ﷺفقالوا له : انسب لنا ربك . نزلت تلك السورة فهي نسبة الله وهي صفته كما ثبت في حديث آخر.

وفضائل تلك السورة عظيمة تراجع في مظانها .

وكذلك كانت آية الكرسي أعظم آية في كتاب الله تعالى لاشتمالها على صفات الله جل وعلا التي هي مدار بقية الصفات ، وفضل تلك الآية أيضا مشهور معروف .

معرفة الله عن طريق الأسماء والصفات :

ونستطيع أن نعرف الله سبحانه ونقدره قدره إذا تعرفنا على أسمائه وصفاته الثابتة في الكتبا والسنة فهي التي تعطينا الفكرة الواضحة عن ربنا جل في علاه ، ومن أحصى تلك الأسماء وأدرك معانيها وعمل بمقتضاها دخل الجنة كما قال رسول الله ﷺفي الحديث الصحيح : "إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة" .

وقد ذكر في بعض الرواة لهذا الحديث بعده تسعة وتسعين اسما فتوهم البعض أنها في الحديث وليست منه وهي مشهورة ومتداولة بين الناس وبعضها لا دليل عليه لا من كتاب ولا سنة بل لاينبغي أن يسمى به الله عزوجل مثل : الضار . في حين أنها أهملت أسماء ثابتة لم تذكر فيها مثل : الوتر ، الستير ، الحيي ، السبوح وغيرها .

وللشيخ محمد بن صالح العثيمين رسالة القواعد المثلى في أسماء الله الحسنى

الاسم الأعظم:

وقد جاء في الحديث الصحيح عن بريدة أن رجلا دعا فقال : الله إني أسألك بأنك أنت الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال رسول الله ﷺ: لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى

وجاء في الحديث الصحيح عن أبي أمامة مرفوعا أن اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى في ثلاث سور البقرة وآل عمران وطه .

فقال بعضهم هو الحي القيوم .

وروي غير ذلك من أحاديث والذي عليه المحققون من أهل العلم أنه لفظ الجلالة الله فهو مشترك في الأحاديث الواردة وهو اسم الله الذي هو علم عليه لا يطلق على أحد غيره والصواب أنه غير مشتق فهو لا يثنى ولا يجمع ولا يمكن تجريده من ال التعريف

والإيمان بالله هو توحيد الله بأنه لا إله إلا هو ولا معبود بحق في هذا الوجود إلا الله وهو يشتمل على أنواع ثلاثة تضمنتها سورة الفاتحة على الإجمال.

توحيد الربوبية : هو توحيد الله بأفعاله فهو الخالق الرازق المحيي المميت لا يشاركه في أفعاله أحد وقد كان مشركوا العرب مقرين بهذا النوع في الجملة قال تعالى (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) وقال : ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله) وقال : (قل من يرزقكم من السموات والأرض أمن سملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولن الله)

وقد جاء في الفاتحة في قوله : الحمدلله رب العالمين ، مالك يوم الدين

توحيد الألوهية : هو توحيد الله بأفعال العباد فهو المستحق للعبادة بغير شريك له الرغبة والإنابة والخضوع والتذلل والتوكل والخوف والرجاء والذبح والنذر والدعاء وهذا النوع هو الذي

قاتل عليه الرسل وهو الذي فرط فيه مشركوا العرب قال تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربوان إلى الله زلفى)

وقد جاء في الفاتحة في قوله : إياك نعبد وإياك نستعين ، اهدنا الصراط المسيتقيم

توحيد الأسماء والصفات : هو توحيد الله بأسمائه وصفاته فهو سبحانه المتفرد بالأسماء الحسنى وبالصفات العليا منزه عن كل نقص مبرأ من كل عيب لايشبهه شيء من مخلوقاته ليس كمثله شيء وهو السميع البصير

وقد جاء في الفاتحة في قوله : الرحمن الرحيم، وفي كلمة الله ، وكلمة : رب ، وكلمة : مالك

وتنقسم الصفات إلى ثلاثة أنواع :

الصفات الذاتية : هي اليد والقدم والعين والأصابع ونحوها.

الصفات المعنوية : الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام .

الصفات الفعلية : الخلق والرزق ، والإحياء ، والإماتة ، والاستواء ، والنزول ، ونحو ذلك .

والسلف الصالح – والمارد بهم أهل القرون المفضلة من الصحابة والتابعين وتابعيهم حسب حديث خير القرون قرني ثم الذين يلونهم – ومن كان على طريقتهم يؤمنون بجميع الصفات الواردة في الكتاب والسنة من غير تأويل وهو صرف الكلام عن ظاهره إلى معنى بعيد كمن يقول اليد بمعنى القدرة ، ولا تعطيل وهو تعطيل الصفة كمن يقول سميع بالسمع وبصير بلا بصر ، ولا تشبيه وهو أن يشبه الله بخلقه ، ولا تمثيل وهو أن يمثل للصفة ، ولا تكييف وهو أن

يطلب كيفية الصفة ، ولا تحريف وهو أن يحرف اللفظة الواردة في الصفة كمن يقول استوى يعني استولى .

ومذهبهم مبني على النفي والإثبات إثبات الصفة لله ونفي مشابهتها لصفات المخلوقين .

قال تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)

وقال (هل تعلم له سميا) وقا ل(لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبار وهو يدر الأبصار وهو اللطيف الخبير)

ومنهجهم في أسماء الله تعالى مبني على قاعدتين

الأولى :

القول في الصفات فرع عن القول في الذات : فكما أن ذات الله عز وجل لا نعلم كيفية لها ولا تمثيلا لها وليست مشابهة لذوات المخلوقين ونحن نثبتها لله كما يليق بجلاله فكذلك نثبت لله تلك الصفات كما يليق به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولاتمثيل ولاتحريف .

الثانية :

القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر : يعني كما نثبت لله بعض الصفات كالقدرة والإرادة والحياة ونحوها ونؤمن بأنها لا تشبه صفات المخلوقين كذلك نثبت له الصفات الأخرى مثل اليد والقدم والنزول والاستواء وغيرها ونؤمن بأنها لا تشبه صفات المخلوقين

ثانيا :الإيمان بالملائكة :

ويدعو الإنسان إلى التشبه بهم والإكثار من الأعمال الصالحة التي تسرهم ويجالسون أصحابها .

والملائكة خلق لله وعالم مستقل خلقهم الله من النور كما قال رسول الله ﷺ: خلقت الملائكة من النور وخلق الجن من النار وخلق آدم مما وصف لكم

ولاتوصف الملائكة بالذكورة أو الأنوثة ومن وصفها بالأنوثة كفر لنص القرآن على ومن وصفها بالذكورة فسن لأنه تخرص ماليس له به علم.

وقد ادعى الكفار أن الملائكة بنات الله نتجوا عن طريق تزويج الله من سروات الجن يعني أشرافهم فوقعوا في طامات ثلاثة : الأولى ادعاء الولد لله . الثانية : جعلهم هذا الولد أنثى مع ما في الأنثى من ضعف ونقص . الثالثة : اختيارهم لله ما يكرهونه لأنفسهم

قال تعالى : (أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين. وجحجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون)

والملائكة لها أجنحة كما في قولهه تعالى (أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع) وقد ورد أن جبريل له ستمائة جناح وصورته التي خلقه الله عليها عظيمة جدا رآه عليها النبي ﷺمرتين

ويمكمنن أن تتمثل الملائكة في صورة بشر ولم يرد ذلك إلا في صورة رجال كما تمثل جبريل للنبي ﷺولمريم عليها السلام وكما تمثلت الرسل لإبراهيم ولوط عليهما السلام و

وخلق الملائكة متقدم عن خلق البشر وهم مخلوقات طائعة لله سبحانة قال تعلالى (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)

ووظائف الملائكة تختلف ومنهم المقربون ومنهم جبريل صاحب الوحي وهو الروح القدس ، وميكائيل وهو الملك الموكل بالرزق ، وإسرافيل وهو الملك الموكل بالنفخه في الصور ، ومالك وهو خازن النار ، ومنكر ونكير ملكا القبر ، وملك الموت ولم تثبت تسميته بعزرائيل وهي مأخوذة من أهل الكتاب ، ومنهم ملك الجبال وغيرهم .

ومنهم حملة عرش الرحمن وهم أربعة أحدهم على صورة رجل والآخر على صورة نسر والثالث على صورة ثور والرابع على صورة ليث ، ويوم القيامة يكونون ثماينة.

وهناك ملائكة خلقت لكي تطوف بالبيت المعمور في السماء السابعة سبعون ألفا لكل يوم فقط ، وملائكة للتسبيح وملائكة ساجدة منذ خلقها الله وأخرى راكعة منذ خلقها الله ، وملائكة لحضور مجالس الذكر ، وملائكة لحراسة الإنسان من بين يديه ومن خلفه تسمى المعقبات ، وملائكة لتسجيل الحسنات والسيئات ، وملائكة يتاقبون فينا ليلا ونهارا ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ، وغير ذلك كثير .

والملائكة يحثون الناس على الخير مقابل وسوسة الشيطان ، ويدعون للمؤمنين ويستغفرون لهم ، ويحضرون الصلوات معهم ويؤمنون معهم ويتنزلون عند قراءة القرآن ويتواضعون لطلبة العلم

الشرعي ويثبتون الذين آمنوا ويشهدون معهم القتال ويقالتلون معهم فعلا ، وكل ذلك وغيره ثابت في الآيات والأحاديث .

وقد تحدث عنهم كثير الحافظ أبو الشيخ الأصبهاني في كتابه العظمة .

ومن المحدثين الشيخ عمر الأشقر في كتابه عالم الملائكة الأبرار .

الإيمان بالجن :

ويلحق بالإيمان بالملائكة الإيمان بالجن ، وهم خلق مكلف خلقوا من النار كما تقدم ومنهم الذكور والإناث ويتكاثرون كما قال تعالى (أفتتخذونه وذريته أولياء) وقال (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) وقد ثبت وجود الجن بالكتاب والسنة والإجماع وهم أصناف من ناحسية الخلقة فمنهم صنف يطير في الهواء وصنف حيات وعقارب وغير ذلك كما ثبت في حديث أبي ثعلبة الخشني ومن ناحية الإيمان فمنهم المؤمنون ومنهم الكافرون كما قال تعالى يذكر قولهم (وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا) وقد ذكر أهل عالعلم أن فيهم الفرق التي في الإنس مثل المرجئة والقدرية والرافضة ونحو ذلك .

والجن لهم القدرة على التشكل وعلى التلبس بالإنس وعلى التزاوج معهم ، ومنهم العوامر والغيلان والسعالي والعفاريت والمردة والشياطين وأحكامهم كثيرة ومن الكتب المؤلفة في ذلك كتاب آكام المرجان في أحكام الجان للقاضي الشبلي الحنفي ، وكتاب لفظ المرجان في أحكام الجن للسيوطي

وقد التقى بهم رسول الله ﷺوقرأ عليهم القرآن وسألوه الزاد فجعل لهم كل عظم ذكر اسم الله عليه ، وكل بعرة زادا لدوباهم ، وأرى الصحابة آثارهم وآثار نيرانهم .

وقد كانوا يتسمعون لخبر السماء ويقذفونه للكهان فلما بعث النبي ﷺمنعوا من استراق السمع وجعلت لهم الشهب والملائكة حرسا لمنعهم من ذلك ، وأنزل الله فيهم سورة كاملة وهي سورة الجن وآيات كثيرة متفرقة في سورة الأحقاف والصافات وغيرها .

وإبليس مهنم على الصحيح قال تعالى (فسجدوا إلا إبليس كان من الجن) وقيل كان من الملائكة ، وإبليس هو أبو الشياطين وله من ذريته شيطان مع كل إنسان يسمى القرين يأمره بالشر إلا قرين رسول الله ﷺفقد أسلم فلا يأمره إلا بالخير .

ويضع إبليس عرشه على الماء ويبث سراياه لحث الناس على الفواحش وأقربهم منه منزلة من يفرق بين المرء وزوجه .

وقد سخرت الجن لسليمان عليه السلام ولم تسخر لغيره ، ولكن الشياطين يخدمون السحرة والمشعوذين وأصحاب الضلالات بأمر إبليس ليلبسوا على الناس .

وحذر الله من الشيطان وأمر باتخاذه عدوا فقال (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) وقد خلق الله إبليس لحكم عالية ولو شاء ما خلقه ولولا خلقه لما تميز أهل الجنة من أهل النار وأولياء الرحمن من أولياء الشيطان ، ومن أطاع الله ومن عصاه ، ولما كان ابتلاء واختبار ، وصراع بين الحق والباطل وجهاد في سبيل الله ، ولما ظهرت صفات الله جل وعلا المنتقم والجبار ، والغفور الرحيم وغير ذلك وقديما قالوا : ويضدها تتميز الأشياء

ومكن الكتب الحديثة المؤلفة فيهم كتاب عالم الجن والشياطين لعمر الأشقر

ثالثا : الإيمان بالكتب

يدعو إلى التعرف على المنهج الرشيد الذي أراده الله عز وجل للإنسان ، ويدعو إلى التمسك بالقرآن والاهتمام به قراءة وتطبيقا .

ويجب الإيمان بالكتب التي أنزلها الله على وجه الإجمال ماعلمنا منه وما لم نعلم ، قال تعالى (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق) والكتاب هنا اسم جنس يعم جميع الكتب

وأما التفصيل : فنؤمن بالتوراة التي أنزلها الله على موسى

وبالإنجيل الذي أنزله الله على عيسى

وبالزبور الذي أنزله الله على داود

ونؤمن بصحف إبراهيم وموسى

وبالكاتب الخاتم وهو القرآن الكريم الذي أنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺولم يبق من هذه الكتب صحيحا محفوظا غير القرآن وأما غيره فإما دخله التحريف وإما لم يبق له وجود

فأما التوراة فهي كلمة عبرانية معناها الشريعة أو الناموس وهي عند اليهود عبارة عن الأسفار الخمسة التي يعتقدون أن موسى عليه السلام كتبها بيده وهي سفر التكوين وسفر الخروج

وسفر الأولين أو الأحبار وسفر العدد وسفر التثنية . وكل من هذه الأسفار مقسم إلى إصحاحات وكل إصحاح مقسم إلى فقرات . وهذه التوراة تعرف بالتوراة السامرية .

وأما التوراة عند النصارى فتطلق على العهد القديم ككل وهو يشمل الأسفار الخمسة ويزيد عليها عند البروتستانت أسفار الأنبياء والكتابات ، والنصارى الكاثوليك يزيدون عليها أسفارا أخرى ويختلفون في بعضها .

والمسلمون لا يعترفون إلا بالتوراة التي أنزلت على موسى ويؤمنون أن الله كتبها بيده ، وهي ما يدعي أنها الأسفار الخمسة التي أنزلت على موسى ويؤمنون أن الله كتبها بيده ، وهي ما يدعي أنها الأسفار الخمسة وقد دخلها التحريف ولايوجد لها سند إلى موسى عليه السلام بل المعروف تاريخيا عند اليهود أنها انقطع سندها قبل ميلاد المسيح بحوالي ستمائئة وخمسين سنة ثم وجدت نسخة غير موثوقة بعد حوالي عشرين سنة ومع ذلك ضاعت هذه النسخة قبل حادثة بختنصر ، ثم كان وقت الاضطهاد الذي تعرض له اليهود وقت بختنصر فانعدمت التوراة وسائر كتبهم من العلم رأسا ، ثم كتبها عن طريق الإلهام رجل يسمى عزرا الوراق ومع ذلك ضاعت نسخها وأكثر نقولها في حادثة أنتيوكس الرابع الذي أراد أن يمحق الديانة اليهودية .

وفي التوراة الموجودة الآن نصوص صريحة تدلل على أنها ليست من إملاء موسى عليه السلام بل فيها الجديث عن وفاته ودفنه ، وفيها من أدلة التجحريف الشيء الكثير .

اوأما الألواح التي أنزلت على موسى فقيل إنها هي التوراة وقيل غيرها والأرجح إنها هي عين التوراة إلا أن التوراة تطلق على ما كتب في الألواح من التعاليم وقد كانت الألواح ستة فلما

ألقاها موسى رفع الله أربعة وبقي منها لوحتان كتب الله فيها له من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء .

وقد أوتي نبينا محمد ﷺ في مقابل الألواح السبع الطوال .

ينظر للاسفاضة كتاب اليهودية لأحمد شلبي ، إظهار الحق لرحمة الله الهندي

وأما الإنجيل فمعناه البشارة وهو عند النصارى أربعة أناجيل يعترفون بها من مجموعة أناجبل كثيرة ليس شيء منها بالاتفاق منسوبا لعيسى عليه السلام وإنما يدعي النصارى أن الرب أوحي بها للقديسين الذين كتبوها ، وهي في الحقيقة لاتعدو أن تكون سيرة لعيسى عليه السلام وبها مواعظ وحكم ، وأما الأحكام فهي تعتد عند النصارى على التوراة وسائر كتب العهد القديم .

وهذه الأناجيل هي :

إنجيل متى والمنسوب إليه هو أحد الحواريين ومن المسلم به عندهم أن نسخته الأصلية غير موجودة وظهعر كتاب باليونانية قيل إنه ترجمة له ولم يعرف المترجم ولا تاريخ الترجمة .

إنجيل مرقص : والمنسوب إليه هو أحد السبعين الذين أرسلهم المسيح لنشر الدعوة ، بعضهم يقرر أن هذا الإنجيل ماهو إلا مشاهدات لبطرس وهو أحمد الحواريين تلقاها عنه مرقص ثم هو يؤكد بشرية المسيح وينكر ألوهيته ، فما كان فيه الآن عن ألوهية المسيح تحريف من المتأخرين .

إنجيل لوقا : وهو منسوب لتلميذ شاول اليهودي الذذي دخل المسيحية وادعى أن يوحى إليه ويتلقى التعاليم مباشرة عن الرب وهو أو من حرف العقيدة النصرانية .

إنجيل يوحنا : وهو منسوب لأحد الحواريين وأسلوبه الفلسفي يجزم ببطلان ذلك الادعاء كما جزمت به دائرة المعارف البريطانية .

وعلى كل فليس لشيء من هذه الأناجيل أسانيد ولا أزمة وقد اختارها أحد مجمعات النصارى ، ويسمى مجمع نيقية عام 325م ، من أكثر من أربعين إنجيلا وأمر بحرق البقية .

وهذه الأناجيل متضاربة فيما بينها ومتناقضة ، ولا يعرف تاريخ كتابتها بالتحديد، وهناك إنجيل خامس كان مسجلا في القائمة التي أمر بحرقها وهو إنجيل برنابا .

إنجيل برنابا: هذا الإنجيل منسوب لأحد الحواريين وهو يتوافق مع العقيدة الصحيحة في المسيح ومصرح فيه بالنبي محمد ﷺ. ويعتبر أوثق الأناجيل من جهة النقل والنسبة إلا أن النصارى لا يعترفون به .

بقي أن نتسائل أين إنجيل المسيح ؟ والجواب أنه يقال : أنزل الإنجيل على عيسى عليه السلام فيما يشبه المرآة فحفظ ما فيها وأخذ يبشر به .

وأما الزبور فهو عند أهل الكتاب في العهد القديم ويطلق عليه مزامير داود وهي عبارة عن أناشيد تنشد مع معازف وأكثرها تشرعات وابتهالات ودعوات .

وثبت في الحديث عن أبي موسى الأشعري أن النبي ص قال له بسبب حسن صوته : لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود .

وأما صحف إبراهيم وموسى فروي فيها حديث فيه ضعف بين أن ما فيها اعبارة عن حكم وأمثال .

وأما القرآن الكريم فهو آخر الكتب السماوية وهو الكتاب الخالد الذي تكفل الله بحفظه وقد تضمن كل ما سبقه من الكتب ونسخ ما لم يعد صالحا لتلك الأمة ، وفيما سبق تكلمنا عليه بالتفصيل .

رابعا: الإيمان بالرسل :

ويدعو إلى حبهم والتعلم منهم والاقتداء بهم .

ونحن نؤمن بالرسل إجمالا ولا نفرق بين أحد منهم من عرفنا منهم ومن لم نعرف كما قال تعالى (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك) قال تعالى (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم) فالرسالة مختصة بالرجال وأما النبوة فمن يعتبر أي وحي نبوة اعتبر وحي الله لأم موسى بإرضاعه وإلقائه في اليم ونحو ذلك نبوة وهو قول ضعيف مرجوح قال به قلة من أهل العلم لأن الله أوحى إلى النحل وليس ذلك نبوة بلاشك والصواب أن النبوة كالرسالة ولم يذكر الله ولا رسوله ﷺ نبية وماكان أسخف سجاح الكذابة حين ادعت النبوة فقالت : إن رسول الله ص قال : لانبي بعدي . ولم يقل : نبية لأنه أصلا لا رسالة ولانبوة في النساء.

وقد فرق بعض أهل العلم بين الرسالة والنبوة فقالوا : كل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولا

وقالوا : النبي هو من أوحي إليه بوحي ولم يؤمر بتبليغه ، والرسول هو من أحر بالتبليغ .

وقال بعضهم : النبي هو من أتى مكملا لشرع سابق ، والرسول من أتى برسالة جديدة مستقلة .

والصواب أن النبي هو الرسول والرسول هو النبي والفرق إنما في اشتقاق التسمية فالنبي من الإنباء والرسول من الرسالة ، ولا يعرف بلا لا يعقل أحد أحي إليه فلم يبلغه ، وكل من قيل فيه نبي لا رسول قد بلغ ما أوحي إليه به .

وكذلك من قيل إنه مكمل الشريعة سابقة ثبت إطلاق اسم الرسول عليه بل جمع الله له النبوة والرسالة معا مثل إسماعيل عليه السلام قال تعالى : (واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا ، وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضييا) وهذه الآية وحدها عند التأمل تبطل القولين جميعا

وقد ذكر في القرآن خمسة وعشرون رسولا منهم ثمانية عشر رسولا في قوله تعالى (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ...) وهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وزكريا ويحي وعيسى وإلياس وإسماعيل واليسع ويونس ولوط

ومنهم سبعة ذكروا في آيات أخرى وهم محمد ﷺوآدم وهود وصالح وشعيب وإدريس وذو الكفل

وأما ذو القرنين والخضر وتبع فمختلف في نبوتهم ، وظاهر القرآن أن ذا القرنين نبي من الأنبياء ، وأن الخضر –ولم يذكر اسمه في القرآن – ملك من الملائكة ، وأما تبع قالله أعلم به فقد قال الله فيه (أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم) فيمكمن أن يكون مثل قوله (قوم فرعون) ويمكن أن يكون مثل قوله (قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح) ولذا روي فيه حديث : لا أدري أتبع كان لعينا أم لا .

وكذلك عزير لا ندري هل هو هو نبي أم لا ؟ فقد قال تعالى (وقالت اليهود عزير ابن الله) وهل هو صاحب الحمار المذكور في قوله (أو كالذي مر على قرية) أم لا ؟ وقيل : هو عزرا الوراق الذي كتب التوراة بعد مافقدت ولذا ادعى فيه اليهود مادعوه .

وقد وورد حديث ضعيف في عدد الأنبياءوأنهم أكثر من الرسل رواه أحمد عن أبي ذر ، والحديث الثابت فيه أن الرسل ثلاثمائة وخمسة عشر رسولا والأمم سبعون أمة

وما من أمة إلا خلا فيها نذير قال تعالى (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير)

والرسل كسائر اللبشر يأكلون ويشربون ويأتون بلازم ذلك وينكحون ويتناسلون ويمشون في الأسواق ويغضبون ويرضون والأدلة على ذلك متوافرة .

واختلف أهل العلم في عصمة الأنبياء والذي عليه اعتقاد أهل السنة والجماعة أنهم معصومون من الكفر والكبائر أما صغائءر الذنوب فالجمهرور على جواز وقوعها منهم وأما الأخطاء فقد دلت النصوص على وقوعها منهم ولا يقرون عليها .

وأما عصمتهم قبل البعثة فلا نطيل بالحديث عنها ، والمتفق عليه أنهم ولابد معصومون قبل البعثة منما يشينهم أ يتنافى مع البعثة كالكذب والزنا .

وما ذكر فقي ذلك المجال أكل آدم من الشجرة ، وضرب موسى للقبطي ، وقصة يوسف مع ارمرأة العزيز ، وقصة إخوة يوسف ، وقصة داود والخصمين ، وقصة النبي ﷺوزواجه من زينب ، والكلام فيها يطول وللسلف فيها منهج يختلف كثيرا عن الخلف فهم يثبتون أصل القصة ويوجهونها في حين يردها الخلف جملة وتفصيلا ، ولا شك أن السلف أعرف بالله ورسله من الخلف .

انظر للتفصيل كتاب النوبات لشيخ الإسلام ابن تيمية

كتاب الرسل والرسلالات لعمر الأشقر

وقد نهى النبي ﷺعن المفاضلة بين الأنبياء وقال : لا تفضلوا بين الأنبياء وقال : إن الناس يبعثون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض فأجد موسى باطشا بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور .

والجمهور على تفضيل النبي ﷺعلى سائر الأنبياء لتوافر الأدلة على ذلك ويحملون ماتقدم على تواضعه ﷺ، أو على الحالة التي تؤدي إلى النزاع كما في سبب ورود الحديث ، أو على التفضيل الخاص وهو تفضيل نبي على آخر لا التفضيل العام .

وأولو العزم من الرسل خمسة هم المذكورون في قوله تعالى (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم) وقال تعالى تعالى (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل)

وقد ختمت النبوة بنبينا محمد ﷺ فلانبي بعده ، وعقيدة ختم النبوة من عقائد أهل السنة والجماعة وقد خالفها الفرق الضالة من القاديانية والبهائية .

انظر للتفصيل عقيدة ختم النبوة لأحمد بن سعيد الغامدي

وقد أيد الله سبحانه أنبياءه بالمعجزات دلالة على صدقهم كما قال ﷺ: ما من الأنبياء نبي إلا قد أعطي من الآيات مامثله آمن عليه البشر وكان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة .

ومن معجزات موسى عليه السلام العصا واليدان والجراد والقمل والضفادع والدم والطوفان .

ومن معجزات عيسى عليه السلام إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص .

ومن معجزات النبي ﷺ القرآن إنشقاق القمر والإسراء وتكثير الطعام ونبع الماء من بين أصابعه ، وسجود الشجر له ، وكسلام الحجر عليه .

والخوارق ثلاثة:

المعجزة وتكون للنبي على سبيل التحدي غالبا وصاحبها يتصف بالصفات الطيبة والصدق والعفاف ولا يمكن لأحد معارضتها

والكرامة تكون لأتباع الأنبياء لا على سبيل التحدي وصاحبها رجل صالح وتكون غالبا في وقت حاجة لهذا الصالح .

والسحر ويكون لكافر كذاب أفاك بخدمة الشياطين له مقابل عبادته لهم ويمكن معارضته وإبطاله ، ويكون في أي وقت حسب الطلب لابتزاز أموال الناس في الغالب وإدخالهم في الشرك .

ولإثبات النبوة طرق غير المعجزات :

- النظر في سيرته قبل النبوة
- مطابقة قوله لعمله
- ظهور صدقه على وجهه
- صدق ما أخبر به من مغيبات
- لايطلب بدعوته الدنيا بل يبذل دنياه في سبيلها
- يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن مساوئها
- خامسا: الإيمان باليوم الآخر
- يدعو إلى الإكثار من فعل الخيرات وترك المنكرات وعدم التكالب على حكام الدنيا ومنازلها الفارغة ، والصبر على مصائب الدنيا وضياع الحقوق فيها.

الروح :

وهي مخلوقة كما قال تعالى (الله خالق كل شيء) وأما قوله سبحانه (من روحي) فهي إضافة تشريف مثل (بيتي) ، (ناقة الله)

وقد استأثر الله بعلمها قال تعالى (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيم من العلم إلا قليلا) ولاتوصف الروح بالموت أو الحياة وإنما الموت هو مفارقة الروح للجسد في الدنيا مفارقة كلية .

والروح هي النفس وقد اختلف الناس في ذلك والمتدبر للآيات والأحاديث يجدهما بمعنى واحد .

والنوم أخو الموت إلا أن الروح فيه لا تفارق الجسد كلية وإنما يبقى لها تعلق به كما قال تعالى (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى)

والقول الأرجح في ماهية الروح أنها جسم نوراني علوي خفيف متحرك يسري في الجسم سريان الماءؤ في الورد والزيت في الفتيل

ولها صفات ثبتت في الكتاب السنة منها :

الوفاة والمسك والإرسال والتناول والإخراج والخروج والعذاب والبعث والرجوع والدخول والرضى ورؤية البصر لها عند الموت ولها رائحة عند خروجها من البدن ولكن لا يشمها الأحياء .

والفاعل الحقيقي للموت هو الله كما ورد في هذه الآية والموكل بذلك هو ملك الموت كما قال تعالى (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم) والمباشر الفعلي للوفاة هم ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب قال تعالى (توفته رسلنا وهم لا يفرطون) وقال (ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم)

القبر:

هو أول منازل الآخرة وهو إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار وقد دلت الآيات والأحاديث على عذاب القبر ونعيمه فمن ذلك قوله تعالى (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) ومنه قوله ﷺ : إن هذه الأمة تبتلى في قبورها . وحديث البراء بن عازب الطويل في قبض روح المؤمن وقبض روح الفاجر ثم سؤال القبر لكل منهما .

وسؤال القبر سيتولاه ملكان اسمهما منكر ونكير يأتيان الميت فيقعدانه ويسألانه من ربك؟

- وما دينك ؟ وماقولك في الرجل الذي بعث فيكم ؟ فأما المؤمن فيثبته الله عز وجل وذلك قوله سبحانه (يثبت الله الذين آمنوا فبالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) فيقول ربي الله وديني الإسلام ويقول هو رسول الله ﷺوأما الفاجر أو الكافر فيقول : هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته .
- والعقل لا يحيل عذاب القبر ونعيمه هولكن يحار فيه وهو يشبه بالنوم فكم من نائم يتلذذ في نومه وبجواره آخر يتألم .
- وعذاب القبر يكون للروح وللجسد معا إلا أنه جسد برزخي له صفات تختلف عن صفات جسدد الدنيا ولاشك أن جسد الدنيا يبلى إلا عجب الذنب وهو آخر فقرة من فقرات الظهر ومنها ينبت الإنسان يوم القيامة .
- ولتعلق الروح بالبدن خمسة تعلقات:

- في بطن الأم ، على وجه الأرض ، أثناء النوم ، في البرزخ ، بعد البعثة .
- والأرض لا تأكل أجساد الأنبياء وشوهد ذلك في الشهداء فمنهم من ظل محتفظا بجسده مدة كويلة فربما كان ليوم القيامة وربما كان فترة ثم يبلى.
- وحياة الشهداء بعد موتهم يعني بها أن أرواحهم في حواصل طير خضر في الجنة تأكل من ثمارها وتسرح فيها حيث شاءت حتى تقوم الساعة.
- وعذاب القبر ونعيمه هو في البرزخ فيستوي فيه من دفن ومن أكلته السباع ومن ذرى رمادا في الرياح ومن كان طعاما للأسماك في البحر وغير ذلك ، ولم يطلع الله الناس على عذاب القبر لأنه بذلك تنتهي حكمة التكليف.
- علامات السلاعة :
- إن الساعة مما استأثر الله بعلمه فلا يعرف أحد متى هي قال تعالى : (يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكرها إلى ربك متنتهاه) وقال (إن الله عنده علم الساعة) وقال (قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو) ولكن للساعة علامات صغرى وعلامات كبرى كما قال تعالى (فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها) وثبت أن الساعة لا تقوم إلا يوم الجمعة كما في الحديث الصحيح.
- وقد اهتم أهل العلم ببيان تلك العلامات ومن ذلك كتاب نهاية البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ، وكتاب الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة للقنوجي البخاري وغيرها

- ومن علامات الساعة الصغرى وقد اكتلمت تقريبا كلها ما ورد في حديث مجيء جبريل للنبي ص وسؤاله عن الإسلام والإيمان والإحسان ثم قال له : أخبرني عن الساعة . فقال له : ما المسئول عنها بأعلم من السائل . قال : فأخبرني عن أماراتها . فقال : أن تلد الأمة ربتها وأن تجد الحفاة العراة رعاء الشاء يتطالولون في البنيان.
- ومن العلامات الصغرى موت النبي ص ، خروج نار من الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى ، خروج دجالين ثلاثين يدعون النبوة ، حدوث الفتن ، وكثرة القتل ، تبرجد النساء ، ضياع الأمانة ، وغيرها كثير .
- ومن علامات الساعة الكبرى خروج المهدي ، نزول عيسى ابن مريم ، خروج المسيح الدجال ، خروج يأجوج ومأجوج ، الدابة ، هدم الكعبة ، رفع القرآن ، طلوع الشمس من مغربها .
- وقد ألف العلماء كتبا خاصة في بعض الآيات مثل المهدي ، المسيح الدجال .
- ومما يجدر لفت النظر له أن عقيدة أهل السنة والجماعة في المهدي تختلف اختلافا كاملا عن عقيدة الشيعة فيه وليس هذا مجال التفصيل في ذلك .
- أهوال القيامة :
- بعد اكتمال العلامات الكبرى تبدأ القيامة ولا تقوم إلا على شرار الخلق ولها أهوال منها ما ذكر في سورة التكوير والانفطار وقد قال ص : من أراد أن ينظر إلى القيامة رأي العين فليقرأ إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت .

- ومن أهوال القيامة تكوير الشمس وانطفاء نورها ، وانكدار النجوم وسقوطها ، وتسيير الجبال وتحولها إلى كثيب مهيل ، وينفخ في الصور فيصعق الناس ثم ينفخ فيه أخرى فيقومون من الأجداث بعد أن تمطر السماء مطرا ثقيلا ينبت منه الناس ، وتدنو الشمس من الرؤوس ويلجم الناس العرق ويأتي الله في ظلل من الغمام ويأتي الملائكة صفوفا ، وتبدل الأرض غير الأرض والسماوات غير السماوات ، وقد وصف الله عز وجل هو لالقيامة بأنه يشيب منه الولدان ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وتذهل كل مرضعة عما أرضعت

ومن الكتب التي تحدثت عن ذلك كتاب الأهوال لابن أبي الدنيا

ومن الكتب المحدثة في أهوال القيامة كتاب القيامة رأي عالعين للصواف

وليوم القيامة أسماء كثييرة تتضمن ما يقع فيه فهو يوم البعث ويوم الحسرة ويوم التغابن ويم التلاق ويوم الآزفة ، ويوم الحساب ، ويوم الدين ، ويم الجمع ، ويوم التناد ، ويوم الخروج ، ويوم الخلود ، والصاخة ، والطامة ، والحاقة ، والقارعة ، والساعة ، والواقعة ، والغاشية .

البعث بعد الموت :

عقيدة البعث ثابتة في الكتاب والسنة ويوجبها العقل والفطرة السليمة وقد دعا إليها جميع الأنبياء . وقد وردت عدة أدلة عقلية على البعث في أواخر سورة يس وهي :

أن الإعادة أسهل من النشأة الأولى عقلا وذلك في قوله (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة)

تطور خلق الإنسان والعناية المستمرة به تدل على أنه لم يخلق عبثا وأنه خلق لهدف معين سيجازى عليه وذلك في قوله (أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه)

قدرة الله لا يعجزها شيء فمن المشاهد أن الله يجمع بين الضدين فأخرج النار الحارة اليابسة من الشجر الرطب البراد ومن قدر اعلى البعث من باب أولى وذلك في قوله (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا)

أن القادر على خلق الكبير قادر على خلق الصغير وذلك في قوله (أو ليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم)

أن البعث يحتاج إلى أمرين فقط العلم المطلق والقدرة المطلقة والله سبحانه متصف بكمال ذلك ولا يحتاج لشيء لتنفيذ ما أراد وذلك في قوله (بلى وهو الخلاق العليم إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)

الجنة والنار :

وهما مخلوقتان موجودتان الآن باقيتان لا تفنيان هذا مذهب أهل السنة والجماعة وتواترت النصوص عليه كما قال تعالى في الجنة (أعدت للمتقين) وقال في النار (أعدت للكافرين) وما تقدم في إثبات عذاب القبر يدل على وجودهما ، ومن الأحاديث الكثيرة الدالة على ذلك حديث صلاة الكسوف وفيه أن النبي ﷺ هم أن يقطف من الجنة عنقودا ولو أخذه لأكل الناس منه إلى يوم القيامة ، ولما عرضت عله النار تراجع حتى وصلت صفوف الرجال إلى النساء .

وثبت في الحديث أن الجنة لا تمتليء حتى يخلق الله لها خلقا ، وأما النار فلا تزال تقول هل من مزيد حتى يضع الجبار فيها قدمه فينزوي بعضها على بعض وتقول قط قط .

وثبت أيضا أن النار اشتكت إلى ربها فقالت : يارب أكل بعضي بعضا فأذن الها الله في نفسين نفس في الصيف وهو أشد ما نجد من الحر ونفس في الشتاء وهو أشد ما نجد من الزمهرير .

وقد قال تعالى في الجنة (وماهم منها بمخرجين) وقال في النار (فلايوم لا يخرجون منها ولاهم يستعتبون)

وأقل أهل الجنة وآخرهم دخولا له مثل مافي الأرض وعشرة أمثاله ، وأهون أهل النار عذابا هو أبو طالب يوضع في أخمصه جمرة يغلي منها دماغه.

وأهل النار الذين هم أهلها لا يخرجون منها ، وأما الموحدون فيخرجون منها بعد أن يطهروا.

وأهل الجنة زمر وأول زمرة على صورة القمر ليلة البدر ، وعلى صورة أبيههم آدم طول أحدهم ستون ذراعا ، وعرضه سبعة أذرع.

ويعظم خلق الكافر في النار فيكون ضرسه مثل جبل أحد .

الحوض:

وهو حوض النبي ﷺيرده المؤمنون ويذاد عنه من أحدث بعده ﷺوقد بلغت أحاديثه حد التواتر . وماؤه أحلى من العسل وأشد بياضا من اللبن وآنيته كعدد نجوم السماء ،

وظاهر الحديث يدل على أن الحوض هو الكوثر الذي أعطيه النبي ﷺ، وقد يقال إن الكوثر هو النهر الذي يمد الحوض.

والحوض قبل الميزان والميزان قبل الصراط.

الميزان:

هو ما توزن به أعمال العباد وأشخاصهم يوم القيامة ودل حديث البطانة أنه ميزان حسي له كفتان ، وثبت وجود الميزان بنص الكتاب والسسنة قال تعالى(ونضع الموازين القسط ليوم القيامة

وقد جمعت الموازين لتعددها أو باعتبار الموزونات وربما باعتبار عدد مرات الوزن

وقال ﷺ: كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم . وقال ص في ساقي ابن سمعود الدقيقتين : أتعجبون من دقة ساقيه لهما أثقل في الميزان من أحد

الصراط :

جسر على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعرة دحض مزلة وعلى جانبيه كلاليب يمر عليه الناس حسب أعمالهم فمنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كأجاويد الخيل ومنهم من يمشي مشيا ومنهم من يحبو حبوا فمنهم ناج ومنهم من تأخذه الكلاليب فتطرحه في النار ، وهو المراد بالورود في قوله تعالى (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) والورود لا يستلزم الدخول

كما قال تعالى (فلما ورد ماء مدين) وكذلك الإنجاء لا يستلزم حصول الشر لهم كما قال تعالى (نجينا هودا والذين آمنوا معه)

الكتب:

وتتطاير الكتب يوم القيامة كل إنسان مسجل عليه أعماله في كتابه قال تعالى (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) فمن الناس من يؤتى كتابه بيمينه وهم أهل الإيمان ومنهم من يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره وهم أهل الفسوق والعصيان . وهذه الكتب لاتغادر كبيرة ولا صغيرة إلا أحصتها كما ذكر الله سبحانه.

الحساب :

ويحاسب الله سبحانه عباده مامهنم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ، وتنطق أعضاء الإنسان وتشهد عليه ، ومن نوقش الحساب عذب كما ثبت في الحديث أما المؤمن فتعرض عليه أعماله ويقرره ربه بذنوبه ويغفرها له كما سترها عليه يوم القيامة .

ويقنص للناس بعضهم من بعض وأما أهل الكبائر فهم في المشيئة إما يغفر الله لهم وإما يعذبون ويخرجون بالتوحيد والشفاعة .

الشفاعة :

والشفاعة تكون للصالحين وأصحاب الطاعات مثل الشهداء وحفظة القرآن ، وتكون للأبنبياء وعلى رأسهم نبينا محمد ﷺ، وتكون للملائكة ، وتكون لرب العالمين بعد أن يشفع الخلائق

يقبض الله سبحانه قبضة من النار لم يعملوا خيرا قط ويسمون عتقاء الرحمن ، كما في حديث الشفاعة الطويل في الصحيح.

ويشترط لقبول الشفاعة ثلاثة شروط:

الأول: لا تقبل الشفاعة إلا بعد الإذن فيها من الله قال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) وقال (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له)

الثاني : رضا الله عز وجل عن المشفوع فيه قال تعالى (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى)

الثالث: أن يكون المشفوع فيه موحدا قال تعالى عن المشركين (فلا تنفعهم شفاعة الشافعين)

ولبينا محمد ﷺثمانية أنواع من الشفاعة :

الأولى : الشفاعة العظمى ليريح الناس من الموقف ويأتي الله لفصل القضاء ولا يحرق عليها غيره من الأنبياء بل كلهم يقول لست لها ويقول النبي ﷺ: أنا لها . وهي المرادة بقوله سبحانه (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا)

الثانية : شفاعته لدخول المؤمنين الجنة

الثالثة : شفاعته لبعض المؤمنين لدخول الجنة بغير حساب

الرابعة : شفاعته لرفع درجات بعض المؤمنين في الجنة

الخامسة : شفاعته لمن استوت حسناتهم وسيئاتهم ليدخلوا الجنة

السادسة : شفاعته لبعض من أمر به إلى النار لئلا يدخلها

السابعة : شفاعته لأهل الكبائر من أمته ممن دخل النار ليخرج منها ولا يزال يخرج منهم حتى لا يبق منهم فيها من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان

الثامنة : وهي خاصة بأبي طالب من الكافرين الذين لا تنفعهم شفاعة بأن يكون أهون أهل النار عذابا يجعل له نعلان من نار يغلي منهما دماغه جزاء له على نصرته للنبي ﷺوحمايته له.

سادسا: الإيمان بالقضاء والقدر :

القضاء هو حكم الله الكلي في الأزل والقدر هو جزئيات ذلك الأمر . والإيمان بالقضاء والقدر يزود المرء بقوة يتحدى بها الصعاب ويهون في نظره عظائم الأمور ، ويقتل في نفسه اليأس والتكاسل ويدفع عنه الهم عند المصائب والبطر عند النعم قال تعالى (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم)

وذا قال ﷺ: عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ولا يكون ذلك إلا للمؤمن إذا أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإذا أصابته ضراء صبر فكان خيرا له .

وقال ﷺ: أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب قال : وما أكتب قال : اكتب ما يكون إلى يوم القيامة

قال تعالى: (وكل شيء عنده بمقدار) وقال (إنا كل شيء خلقناه بقدر)

وقال ﷺ: لا تزال أمتي بخير ما لم يتكلموا في الولدان والقدر .

وقال : واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء ما ضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف

وقال تعالى: (فريق في الجنة وفريق في السعير)

وخرج النبي ﷺعلى أصحابه وبيده كتبان فقال للذي في يمينه : هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم ، وقال للذي في شماله : هذا كتاب من العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم ، فرغ ربكم ، فرغ ربكم ، فريق في الجنة وفريق في السعير

ولما رأت عائشة جنازة طفل من الأنصار قالت : طوبى له عصفور من عصافير الجنة .

فقال رسول الله ﷺ: أو غير ذلك يا عائشة ؟ إن الله خلق للجنة أهلا وهم في أصلاب آبائهم وخلق للنار أهلا وهم في أصلاب آبائهم .

وقال : "إن أحدكم يجمع في بطن أمه .... إلى أن قال : ثم يرسل إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات أجله ورزقه وعمله وشقي أم سعيد".

وقال : "مامن نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار وإلا قد كتبت شقية أم سعيدة" ، فقال رجل : يارسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل فقال : "من كان من

أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة" ثم قال : "اعملوا فكل ميسر لما خلق له" .

وسلك النبي ﷺوأصحابه الأخذ بالأسباب وعملوا فلم يتكلوا على القدر في شيء من أمورهم.

ولا يجوز الاحتجاد بالقدر وأما ما ورد من احتجاج موسى وآدم حيث قال موسى لآدم : أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة . فقال له آدم : أتلومني على شيء قد كتبه الله علي قبل أن أخلق بألفي عام . فتوجيهه أن الاحتجاج بالقدر على المصيبة محمود ولم يكن لوم موسى لآدم على معصيته وهي أكله من الشجرة وإنما لامه على مترتب عليها ، هو الإخراج من الجنة .

وقد احتج المشركون على رسول الله ﷺبالقدر فقالوا : (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) فأمره الله سبحانه أن يرد عليهم فقال (قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين)

والحاصل أن الله سبحانه له إرادتان :

إرادة كونية قدرية : وهو أنه لا يجري في هذا الكون من صغير وكبير إلا بإذنه ومشيئته وهو خلق له سواء كان محبوبا له أم مكروها سواء كان ظاهره النفع أو الضر ولو لم يرد الله أن يعصي ما خلق إبليس أصلا ، ولكن له في ذلك حكم ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون ،

ومن المصالح المترتبة على خلق إبليس ظهور المؤمن من الكافر ومن يوالي الله ويعادي الشيطان ومن يعكس الأمر ، وظهور أسماء الله وصفاته الجبار والمنتقم، والفغار والتواب وغير ذلك .

وليس هناك في الدنيا شر محض ولا خير محض ، والمتأمل في سورة الكهف يجد من ذلك عجبا فلنتصور أبوين كريمين يفاجأ بولدهما مقطعة رأسه كيف يكون حالهما؟ وحقيقة الأمر أن الله حماهما مما علم من صيرورة هذا الولد إلى الكفر والإشقاء لهما ، وأراد أن يبدلهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما

ولي لأحد أن يحتج بتلك الإرادة لأنها في علم الله ولا يمكن معرفتها إلا من الله . وعمدة الكلام فيها مبني على تنزيه الله عن الظلم فالله عز وجل لا يظلم أحدا قال تعالى : (ولا يظلم ربك أحدا) وقال (وما ربك بظلام للعبيد) وفي الحديث القدسي : إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما

فالله سبحانه وتعالى يدخل من شاء الجنة بفضله ويدخل من شاء النار بعدله ، والداخل والمدخول فيه كله مخلوق لله وملك له ، وللمالك أن يفعل ماشاء فيما يملك لا معقب لحكمه وهو أحكم الحاكمين .

والله عز وجل يعطي كلا ما يستحق كما قال تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) وقال (فلما زاغوا أزاغ الله قلبوهم) وقال (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) وقال (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم)

وقال (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم)

والهداية والإضلال بيد الله سبحانه قال تعالى عن موسى (قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي ، أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء)

وقال تعالى (من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) وقال (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على لعلم) وقال (من يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء) ولا حجة لأحد في ذلك فلو قال قائل : هدايتي بيد الله وليس ذلك بيدي وإنما أنا أفعل ما قدره الله علي ولو شاء لما عصيته . قلنا له : هل لديك كتاب من الله أنه قدر عليك هذا وأنك من أهل الضلال؟ ولماذا لاتحتج بذلك إذا أصابك أحد بمكروه فلو قتل رجل ولدك لما اعتذرت عنه بأنه يفعل ما قدره الله عليه ، ولو قيل لك لماذا تأكل فلو تركت الأكل والشرب وسوف يأتيك ماقدر لك فلو شاء الله شبعت وارتويت . ونحو ذلك .

وقد انقسم الناس في ذلك إلى ثلاث فرق فمنهم من قال : إن الإنسان يخلق أفعاله وقالوا : لا قدر ، وهم القدرية ، ومنهم من قال : الإنسان مجبور على أفعاله لا يملك من أمره شيئا وهو مثل الريشة في الهواء وهم الجبرية . وسوف ياتي الحديث عنهم في الفرق . والقسم الثالث هم أهل السنة والجماعة الذين كانوا وسطا بينهما وهم الذين قالوا : كل مافي الكون مخلوق لله ولا يجري فيه إلا بمشيئته وإنما للعبد مباشرة الفعل وكسبه ليس مجبورا عليه وإنما له اختيار يجري بموافقة القدر .

ومن الطرائف أن أحد العلماء احتج عنده رجل بالقدر في أمر من الأمور فصفعه صفعة قوية واحتج له بالقدر على ذلك ، فبهت الرجل وعلم ضعف حججته .

وروي أن رجلا سرق فأحضر لعمر فقال له لم سرقت فقال : قدر الله ذلك . فقال عمر: اضربوه ثلاثين سوطا ثم اقطعوا يده فقال : ولم ؟ قال عمر : يقطع لسرقته ويضرب لكذبه على الله .

وفي بعض الروايات أنه رد عليه بنفس حجته فقيل له : قدر الله ذلك .

ومما ألف في تلك المسألة كتاب خلق أفعال العباد للإمام البخاري

إرادة شرعية دينية : وهي المادرات الشرعية التي أمر الله بها عباده تدينا وقربة إليه من ترك المنهيات وفعل المأمورات وهذه هي التي يجب علينا معرفتها وهي التي يحتج بها ، وهي التي يطالب بها العبد قال تعالى (إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفرورا) وقال (وهديناه النجدين) وقال (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها)

وقال تعالى (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد)

وقال : (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير)

وقد يخلط بعض الناس بين درجتي القدر وهي علم الله بما يكون ثم حصول ما علم بإرادة الله الكونية ، وإنما يجري القدر موافقا لعلم الله ، وقد ذكر شيخ الإسلام أن الإيمان بالقدر على هاتين الدرجتين .

ونفاة القدر اختلفوا من هذه الحيثية فعلاتهم نفوا علم الله بذلك ، كما نفوا خلقه لأفعال العباد ، وأما متوسطهم فنفوا الأخير فقط وأثبتوا لله اللم .

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رسالة في القضاء والقدر

ومن المحدثين الشيخ الشعراوي له رسالة في ذلك أيضا ولكنه خلط فيها بين الدرجتين كما أسلفنا .

الفرق الضالة والفرقة الناجية:

ثبت في الحديث الصحيح قوله ﷺ: افترقت اليهود على إحدى وسبيعين فرقة وتفرقت النصارى على ثنتين وسبيعين فرقة وستفترق أمتى على ثلاث وسبيعين فرقة كلها في النار إلا واحدة . قالوا : من هي يارسول الله ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابي .

وقد قدمنا الكثير عن اعتقاد الفرقة الناجية وهذه نبذة عن بعض الفرق :

الخوارج :

هم طائفة اكان أول ظهورهم خروجهم على علي بين أبي طالب فيما يسمى بالتحكيم وهو أن عليا رضي الله عنه في قتاله في قوعة صفين ضد معاوية رضي الله عنه رفض إيقاف القتال بدعوى رفع المصاحف من الفريق الآخر لتحكيم كتاب الله فألزمه جماعة ممن معه بقبول التحكيم فأوقف القتال وقبل تحكيم رجلين من الصحابة هما عمرو بن العاص وأبو موسى

الأشعري فقال له هؤلاء : كيف تحكم الرجال لا حكم إلا لله . فخرجوا عليه واتهموه وكفروه وتذرعوا تلك المكلمة التي ظارها الحق ويراد بها لاباطل واجتمعوا بمنطقة حروراء قرب الكوفة .

ولذا سموا الخوارج ، ولا شك أن الذين قتلوا عثمان رضي الله عنهم إلا أنهم لم يظهروا كفرقة إلا منذ ذلك الحين .

وقد ناظرهم عبدالله بن عباس فأفحمهم ، وناظرهم علي فأفحمهم ، وآل الأمر إلى قتال علي لهم يوم النهروان وانتصاره عليهم ولم يبق منهم إلا شرذمة نشرت مذهبهم بعد ذلك ، وقتل في تلك الحرب ذو الثدية الذي قال للنبي ﷺوهو يقسم الغنائم : اعدل . فقال رسول الله ﷺ: ويلك فمن يعدل إذا لم أعدل ؟ ثم قال : يخرج من ضئضئي هذا قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية .

وللخوارج أسماء : منها الخواج لخروجهم على الخلفية الراشد علي ، والمحكمة لترادهم كلمة لا حكم إلا لله ، والحرورية : لنزلهم حروراء ، والشراة : لزعمهم أنهم شروا أنفسم وباعوها لله ، والنواصب : لنصبهم العداء لعلي بن أبي طالب ، والمارقة لحديث رسول الله ﷺ فيهم : يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية .

وقد انقسموا إلى فرق رئيسية كبرى : المحكمة الأولى وهم أوائلهم الذين سبق ذكرهم الأرازارقة وهم أتباع نافع بن الأزرق ، النجدات وهم أتباع نجدة بن عامر ، الصفرية واختلف ففي سبب تسميتهم وقيل إن السبب صفرة وجوههم من شدة عبادتهم ، العجاردة أتباع عبدالكريم بن

عجرد وانقسموا بعده ثماني فرق ، الاباضية وهم أتباع عبدالله بن إباض المري وانقسموا إلى سبع فرق ، الثعالبة وهم أتباع ثعلبة بن مشكان وانقسموا ست فرق .

ومن هذه الفرق الكثير للخوارج فرق خرجت من الملة وفرق لم تزل في دائرة الإسلام مع الاتفاق على ضلالهم وتبديعهم .

ومن اعتقدادات الخوارج :

- تكفير علي وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين ومن رضي بالتحكيم ومن صوب الحكمين أو أحدهما
- وجوب الخروج على الإمام بالسيف إذا جار ولو في نظرهم فقط
- تكفير مركتب الكبيرة والقول بخلوده في النار
- تكفير مخالفيهم والبعض يستبيح دماءهم وأموالهم ونساءهم
- جواز قتل النساء والأطفال
- لهم أقوال فقهية عجيبة مثل إجياب الصلاة والصوم على الحائض أو قضاء الصلاة مثل قضاء الصوم .
- وقد قامت حروب كثيرة على أيدي هؤلاء سفكت فيها الدماء وهتكت فيها الأعراض ، وشاء الله أن تقوم لهم دول مثل دولة الإباضية بتيهرت من الجزائر ودولة الصفرية بسجلماسة واستمرت الدولتان مدة طويلة ، وما زال المذهب الإباضي بعمان وحضرموت وببعض مناطق المغرب العربي وزنجبار إلى الآن ، وأما بقية مذاهب الخواج فاندثرت .

- ولهم كتب مؤلفة على مذهبهم وتفاسير لكتاب الله ومن أشهرها تفسير هود بن محكم الهواري وهو مطبوع .
- ومما روي في مهم عن رسول الله ﷺ: الخوارج كلاب أهل النار
- الشيعة:
- وهو اسم يطلق على كل من يظهر مشايعة علي وآل البيت أي مناصرتهم والمراد اعتبارهم أحق بالخلافة وتفضيلهم على غيرهم . ومنهم الغلاة الذين وصل بهم الأمر لتأليه علي بن أبي طالب ، ومنهم المعتدلون الذين لم يخالفوا أهل السنة والجماعة إلا في تفضيل علي على عثمان فقط .
- ويجمع الشيعة أربع فرق رئيسية : السبئية هم أتباع عبدالله بن سبأ اليهودي الذي اددعى الإلسلام وتدرج في الغلو في علي حتى ألهه وقد أحرق علي أتباعه .
- الكيسانية: هم أبتباع المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب الملقب كيسان على الأرجح ويدعون إمامة محمد بن الحنفية ولد علي بن أبي طالب .

وقد انقسمت عدة فرق منها : المختارية نسبة للمختار الثقفي وقد ادعى الوحي والنبوة لنفسه بعد ذلك ، الكربية وهم أتباع أبي كرب الضرير وادعوا أن ابن الحنفية لم يمت ولكنه محبوس بجبل رضوى عنده عين من عسل وأخرى من ماء يعيش عليهما حتى يخرج في آخر الزمان فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا . الهاشمية : هم الذين قالوا بأإمامة أبي هاشم عبدالله بن حمجدد بن الحنفية بعد أبيه . البيانية : أتباع بيان بن

سمعان وادعوا ألوهية علي ثم نبوة وألوهية بيان . الحربية : أتباع عبدالله بن عمرو بن حرب الكندي وقد ادعى بعضهم نبوته وبعضهم ألوهيته .

الزيدية : وهم القائلون بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي وأكثرهم في الفروع يكادون يوافقون الأحنالف وفي مجمل العقائد يوافقون المعتزلة .

وانقسموا فرقا أهمها الجارودية وهم يكفرون الصحابة ولا يؤمنون بموت بعض آل البيت ، السليمانية أو الجريرية أتباع سليمان بن جرير وهم يكفرون عثمان وبعض الصحابة ، البترية أو الصالحية أتباع كثير الأبتر والحسن بن صالح وهم يكفرون أصحاب الكبائر ويتوقفون في الحكم بإيمان أو كفر عثقمان ، اليعقوبية وهم أتباع يعقوب بن علي وهم أقربهم إلى أهل السنة في الشيخين.

والزيدية ما زالت منتشرة باليمن حتى الآن .

الرافضة : سموا بذلك لرفضهم زيد بن علي عندما سألوه عن رأيه في أبي بكر وعمر فأثنى لعليهما خيرا وقال : ما سمعت أبي يقول فيهما إلا خيرا ، وقد كانا وزيري جدي .

وكانوا يسمون من قبل الخشبية لأنه يقاتلون بالخشب لزعمهم عدم جزاز القتال بالسيف إلا تحت راية إمام معصوم .

والرافضة يكفرون الصحابة رضي الله عنهم

وقد انقسموا فرقا نذكر منها :

المحمدية وهم الذين يعتقدون أن محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي الملقب بالنفس الزكية هو المهدي المنتظر وأنه لم يمت بل هو حي بجبل حاجر من جبال نجد إلى أن يؤمر بالخروج فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا .

الإمامية : وهم الذين يعتقدون أن النبي ﷺنص على إمامة علي بالاسم الصريح وانتقلت الإمامة للحسن ثم الحسين ثم ابنه علي زين العابدين ثم ابنه محمد الباقر ثم ابنه جعفر الصادق ثم اختلفوا بعد ذلك ، وهم يسمون أيضا الجعفرية ، وهم يعتبرون أن لا شيء في الإسلام أهم من الإمامة ، وهم فرق منها :

الإمالمية الاثنا عشرية : وهم الذين يعتقدون أن النبي ﷺنص على إمامة اثني عشر إماما من آ البيت آخرهم محمد بن الحسن العسكري الذي هو المهد يالمنتظر وهو مختف منذ كان عمره أربع أو ثمان سنوات في سرداب في بيت أبيه وسوف يعود فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا

وهم يعتقدون أن الصحابة ارتدوا وكتموا سورا من القرآن وأن القرآن الحالي محرف وناقص وله معان باطنية لا يعرفها إلا الأئمة وأن جله في آل البيت وأعدائهم . ويقولن بعصمة الأئمة الكاملة ، وبرجعة النبي ﷺوآل البيت بعد موتهم هم وخصومهم كأبي بكر وعمر ليقتصوا منهم ، وبالتقية وهي إظهار موافقة أعدائهم حتى تقوى شوكتهم.

والاثنا عشرية ما زالت إلى الآن ببعض مناطق الهند وباكستان والعراق وساحل الخليج العربي ودولة إيران الحالية على دينهم .

الإمامية الإسماعيلية : وهم الذين يرون أن الإمامة انتقلت لابن جعفر الصادق إسماعيل وبقيت في عقبه مستورة إلى أن أظهرها عبدالله المهدي رأس الفاطيميين . ولهم أسماء كثيرة منها : الباطنية ، القرامطة .

وهؤلاء يبطلون الشريعة جملة وتفصيلا ويعتقدون أن لها بواطن غير هذه الظواهر ويتحلون المحرمات واعتقادهم في الله والأنبياء من أبطل الباطل وينكرون القامة والمعاد ، ويعادون الإسلام ووأهله أشد العداوة وقد قتلوا الحجيج وألقوهم في بئر زمزم وسرقوا الحجر الأسود وهم دائما عون لأعداء الإسلام عليه ، واتفق العلماء على كفرهم وخروجهم من الملة .

وهم من فرق الباطنية المختلفة والتي منها الدروز المجوجودون بلبنان وبانياس وجبل حوران ، ومنها النصيرية الموجودون بسورية . ويلحق بهم الصوفية الذين يقولن بالاتحاد يوعلم الباطن وسقوط التكليف ومنهم كثير بالبلاد الإسلامية .

وما زالت الإسماعيلية باقية في البهرة من بلاد الهند .

ومن الكتب التي أفاضت في ذلك فضائح الباطنية للإمامام الغزالي .

ومن الكتب المحدثة : الحركات الباطنية في العالم الإلسلامي لمحمد الخطيب

وجاء دور المجوس لعبدالله الغريب

الجهمية :

هم المنتسبون إلى جهم بن صفوان السمرقندي وقد أخذ عن الجعد بن درهم الذي ضحى به خالد بن عبدالله القسري حيث قال يوم الأضحى : يا أيها الناس ضحوا

تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا . ثم نزل فذبحه .

وأصل مقالة الجهم مأخوذة من الفلاسفة وبعض محرفة اليهود وأوصل بعضهم سندها إلى لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي ﷺوهم ينفون عن الله الصفات والأسماء ويقولون بفناء الجنة والنار وبالجبر في أفعال العباد وأن فعل العبد بمنزلة طوله ولونه ، وأن الإيمان هو المعرفة فقط وأن الكفر هو الجهل فقط .

ومن الكتب التي أفاضت في الحديث عنهم :

الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة لابن القيم

المعتزلة :

هم عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء الغزال ومن تبعهما سموا بذلك لما اعتزلوا الجماعة بعد موت الحسن البصري ولما كان عصر هارون الرشيد ألف لهم أبو الهذيل كتابين بين فيهما مذهبهم .

ولهم أصول خمسة : العدل ، التوحيد ، الوعيد ، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والني عن المنكر .

ويعنون بالعدل : أن الله لم يخلق الشر وأنه لا قدر وأن كل عبد يخلق أفعاله.

ويعنون بالتوحيد : الاعتماد على العقل في الأول وأن الدلائل السمعية معه في ذلك بمنزلة الشهود الزائدين على النصاب . ونفي الصفات والقول بخلق القرآن ونفي رؤية الله في الآخرة.

ويعنون بالوعيد : وجوب إنفاذ ما أوعد الله به عبيده فلا يعفو عمن يشاء ولا يغفر لمن يريد .

يعنون بالمنزلة بين المنزلتين : أن مرتكب الكبيرة ليس مؤمنا ولا كافرا وإنما في منزلة بينهما فهو قد خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر : إلزام غيرهم بمذهبهم والخروج على الإمام الجائر بالسيف

وهم عشرون فرقة يكفر بعضهم بعضا وينتسب لهم فرقتان ليستا من الإسلام في شيء وهما الحايطية والحمارية .

ولا زال أثر الاعتزال في المدرسة العقلانية المنتشرة في بلاد الإسلام .

القدرية :

هم نفاة القدر وهم عكس الجبرية والمعتزلة من القدرية والجهمية من الجبرية وكلام بعضهم ينقض كلام البعض الآخر . وقد ورد في ذم القدرية أحاديث منها قوله ﷺ: القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم .

المرجئة :

وهم الذين أخروا العمل عن الإيمان والإرجاء التأخير ، وأحسنهم حالا من يقول الإيمان هو المعرفة والإقرار بالله ورسله وما جاء عن الله ورسله إجمالا ، ولا يزيد ولا ينقص ولا يتفاضل الناس فيه بمعنى أن إيمان جبريل وأبي بكر وأي مسلم بدرجة واحدة. ويقولون لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا يضر مع الكفر معصية .

وهم ثلاثة أصناف صنف مرجئة في الإيمان وقدرية في القدر كالمعتزلة ، وصنف مرجئة في الإيمان وجبرية في القدر كالجهمية وصنف مرجئة خالصة من غير قدر وهم فرق كثيرة مرجعها إلى عشر فرق يضلل كثير من الناس اليوم لا سيما لأحناف .

الأشاعرة :

وينتسبون إلى أبي الحسن الأشعري وكان قد تتلمذ على زوج أمه إمام المعتزلة أبي علي الجبائي ثم انفصل عنه ورد على المعتزلة والجهمية والرافضة وأول كثير من صفات الله عز وجل ثم رجع إلى مذهب السلف الصالح وألف في ذلك كتبا منها الإبانة والمالات ، وبقي أتباعه على عقيدتهم المشوهة إلى الآن على الرغم من دورهم الجيد في الرد على سائر الفرق وهم كثر كاثرة في البلاد الإسلامية .

ومن اعتقادات الأشاعرة إثبات وجود الله عن طريق الحدوث و القدم ، وإثبات ما يسمونه بصفات المعاني وفرعها والصفات السلبية ، وتأويل غيرها من الصفات ، ويقولن بأن القرآن هو معنى قائم بذات الله عبر عنه بالعربية فهو ليس كلام الله حقيقة وإنما هو عبارة عنه ، واختلفوا فيما عبر عنه فقيل هو جبريل وقيل هو رسول الله ﷺ.

ويؤمنون بأن القرآن هو معنى قائم بذات الله عبر عنه بالعربية فهو ليس كلام الله حقيقة وإنما هو عبارة عنه ، واختلفوا فيمان عبر عنه فقيل هو جبريل وقيل هو رسول الله ﷺ.

ويؤمنون بأن مصدر التلقي هو العقل بل قالوا بتقديمه على النقل عند التعارض ، وهذا من أبطل الباطل . وقد قدمنا شيئا من ذلك عند حديثنا عن علم الكلام فليراجع .

وقد أفاض في الكلام عن هذه الفرق عبدالقاهر البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق

وينظر أيضا : الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة لعبدالقادر شيبة الحمد ، التفسير والمفسرون للدكتور الذهبي .

المراجع التي لم يسبق لها ذكر :

الصفات الإلهية محمد أمان الجامي

تصحيح المفاهيم محمد أمان الجامي

العقيدة الإسلامية وتاريخها محمد أمان الجامي

الكواشف الجلية عن معاني الواسطية للسلمان

شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز

العقيدة السلفية في كلام رب البرية لعبدالله بن يوسف الجديع

العقائد الإسلامية لسيد سابق

عقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري